

العـدد ١٠٦٠ - الاثنـين ١٩ محـــرم ١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢٠/٩/٧م

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

السبيل الأمثل في الدعوة إلى الله



مشروع الوقف الخيرى رؤية إسلامية متطورة

تبرعك لمشروع الوقف الخيري... يجعلك تساهم في جميع أوجه الخير المختلفة

كل هذا من ثمرة وقفكم لعام 2020 -مشروع السلة الغذائية (اليمن)



كل هذا من ثمرة وقفكم لعام 2020 -مشروع السلة الغذائية (اليمن)



web **www.waqf-khairy.com**

تبرع أونلاين ولو بدينار واحد فقط

يمكن لعملاء زين التبرع من خلال إرسال الرقم (1) برسالة نصية بقيمة (1) دينار
أو إرسال رقم (5) برسالة نصية بقيمة (5) دينار على رقم (94044)

قرطبة – قطعة 5 – مقابل فحص العيون التابع لإدارة المرور
تلفون: 99804733 – 25310521 – فاكس: 25339067
ص.ب: 5585 – الصفاة – الرمز البريدي: 13056 – دولة الكويت



﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾



الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

الفرقان ١٠٦٠ - ١٩ محرم ١٤٤٢هـ
الإثنين - ٢٠٢٠/٩/٧م

رئيس مجلس الإدارة
طارق سامي العيسى

رئيس التحرير
سالم أحمد الناشي

www.al-forqan.net
E-mail: forqany@hotmail.com

المراسلات

دولة الكويت
ص.ب ٢٧٢٧١ الصفاة
الرمز البريدي ١٣١٣٣
هاتف: ٢٥٣٦٢٧٣٣ (مباشر)
الخط الساخن: ٩٧٢٨٨٩٩٤
٢٥٣٤٨٦٥٩-٢٥٣٤٨٦٦٤ داخلي (٢٧٣٣)
فاكس: ٢٥٣٦٢٧٤٠

حساب مجلة الفرقان
بيت التمويل الكويتي
01101036691/2



طبعت في مطابع لاكي

في هذا العدد

الاشتراكات

الاشتراكات السنوية
- ١٥ دينارا للأفراد (أول مرة)
- ١١ دينارا التجديد لمدة سنة
- ٢٥ دينارا للمؤسسات والشركات داخل الكويت أو ما يعادل ١٠٠ دولارا أمريكيا لمثيلاتها خارج الكويت.
- ٢٠ ديناراً كويتياً (للدول العربية)
- ٣٠ ديناراً كويتياً (للدول الأجنبية)

وكلاء التوزيع
- دولة الكويت:
شركة الخليج للتوزيع
هاتف: ٢٤٨٣٦٦٨٠
: ٢٤٨١١٦٦٦

سعر النسخة في الكويت ٢٥٠ فلسا

السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٥٠ فلسا - قطر ٤ ريالات - سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - المغرب ٥ دراهم - الإمارات ٤ دراهم



ليس منا.. مفاصلة شرعية

ورد في أحاديث كثيرة قول النبي -ﷺ-: «ليس منا» بمعنى ليس على طريقتنا وليس على منهجنا..يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز -رحمه الله- في بيان معناها: «في الغالب والأكثر أنها من باب الوعيد والتحذير والترهيب، مما ذكر فيها من المعاصي، ولا تخرج صاحبها من الإسلام إذا لم يستحلها، ولكن فيها الحذر والترهيب والتحذير». ولكن يجب الابتعاد عمن الوقوع في هذه المعاصي التي حذر منها النبي -ﷺ- بهذا الأسلوب ومنها:

● **العصبية:** قال -ﷺ-: «ليسَ منّا منْ دعا إلى عصبية، و ليسَ منّا منْ قاتلَ على عصبيةٍ، و ليسَ منّا منْ ماتَ على عصبيةٍ». (صحيح/ الجامع الصغير). وفيه دليل على ذم التعصب لأحد بالباطل، كالتعصب للقوم والقبيلة والبلد، سواء كانوا على الحق أم على الباطل. أم الدعوة إِلَى اجْتِمَاع عَصَبِيّة فِي مُعَاوَنَة ظَالِم.

● **الغش:** قال -ﷺ-: «ليس منّا مَنْ غشّ». (صحيح/ الجامع الصغير). والواجب على المؤمن أن ينصح لأخيه المسلم، وأن يؤدي له أمانته، وأن يحب له الخير كما يحبه لنفسه، فلا يغشه في معاملة، أو سلعة أو زواج، بل يجب أن يبين له الحقيقة. والمؤمن يتقي الله ويراقبه ويؤدي الأمانة، كما قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء:٥٨)، وقال -سبحانه- في صفة أهل الجنة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٨)

● **التخبيب:** قال -ﷺ-: «ليس منّا من خبّب امرأةً على زوجها». (لا ينزل عن درجة الحسن/ الترغيب والترهيب). بمعنى إفساد الزوجة على زوجها بإغرائها بطلب الطلاق ونحو ذلك. وهذا الفعل محرم، وعده بعض أهل العلم من كبائر الذنوب.

● **الحلف بالأمانة:** قال -ﷺ-: «ليسَ منّا منْ حلفَ بالأمانة». (صحيح/ الجامع الصغير).

● **التشبه بغير المسلمين:** قال -ﷺ-: «ليس منا من تشبّه بغيرنا» (جيد/ مجموع الفتاوى)

● **التشبه بالنساء:** قال -ﷺ-: «ليسَ منّا منْ تشبّهَ بالرجالِ منَ النساءِ، و لا منْ تشبّهَ بالنساءِ منَ الرجالِ» (صحيح/ الجامع الصغير).

● **السحر والكهانة والتشاؤم:** قال -ﷺ-: «ليسَ منّا من تطيّرَ ولا من تُطيّرَ لَه أو تَكهّنَ أو تُكُهّنَ لَه أو تَسحّرَ أو تُسُحّرَ لَه» (حسن لغيره / السلسلة الصحيحة).

● **عدم رحمة الصغير:** قال -ﷺ-: «ليسَ منّا منْ لمْ يرحمْ صغيرَنا». (حسن/ الجامع الصغير).

● **عدم معرفة حق الكبير:** قال -ﷺ-: «ليس منّا مَن لم يُوقّرِ الكبيرَ»، (صحيح/ الترغيب والترهيب). وفي حديث آخر: «ولمْ يعرفْ حقّ كبيرنا»، وفي حديث ثالث: «ويعرفْ شرفَ كبيرنا» وفي حديث رابع: «ليسَ منّا منْ لمْ يُجلّ كبيرَنا».



رئيس مجلس الإدارة طارق العيسى يكرم أحد الفائزين بحضور الشيخ جاسم المسباح



الشيخ جاسم المسباح يلقي كلمته

تحت رعاية الشيخ طارق العيسى

إحياء التراث تنظم حفلاً لتكريم الفائزين بمسابقة الكويت الكبرى الثالثة والعشرين لحفظ القرآن الكريم وتجويده

الشيخ جاسم المسباح: القرآن الكريم تلاوته تذهب أحزانك، وتثير أشجانك، وترفع شأنك، وتثقل ميزانك، والقرآن هو قرة العيون، ويحمي من الضلالة ويحصن من الجهالة

تحت رعاية الشيخ/ طارق العيسى- رئيس مجلس إدارة جمعية إحياء التراث الإسلامي، وبحضور وليد الربيعة أمين سر الجمعية، نظمت جمعية إحياء التراث الإسلامي حفلاً لتكريم الفائزين بمسابقة الكويت الكبرى الثالثة والعشرين لحفظ القرآن الكريم وتجويده، تحت شعار (ربيع القلوب)، التي تقام سنوياً تحت رعاية كريمة لسمو أمير البلاد الشيخ/صباح الأحمد الجابر الصباح.

وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، تلاها القارئ سلطان الصرام – الفائز في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن فرع القراءات، ثم كلمة رئيس قطاع التنمية الخيرية والمجتمعية ومدير إدارة مراكز تحفيظ القرآن بجمعية إحياء التراث الإسلامي الشيخ/جاسم المسباح، التي أوضح فيها أهمية حفظ القرآن وتعلمه انطلاقاً من قوله -ﷺ-: « اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه». وقوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

فالقرآن الكريم تلاوته تذهب أحزانك، وتثير أشجانك، وترفع شأنك، وتثقل ميزانك، والقرآن هو قرة العيون، ويحمي من الضلالة، ويحصن من الجهالة، وهو أمانة جبريل، ورسالة محمد -ﷺ-، ودستور أمة ومنهج حياة، ومشروع حضارة ومنطلق دعوة، وحل لمشكلات البشرية، وشفاء لأسقام الإنسانية.

موضحاً بأن عدد الفائزين بلغ (٨) مشاركين، خمسة من الأخوة الشباب وثلاثة من الأخوات، علماً بأن مسابقة الكويت الكبرى تحتوى على: مسابقة النشء والشباب للمراحل الدراسية جميعها، من الابتدائي إلى الجامعي (جزء وجزءان وثلاثة أجزاء وأربعة أجزاء)، والمسابقة العامة، التي تبدأ من (٥ أجزاء و١٠ أجزاء و١٥ جزءا و٢٠ جزءا و٢٥ جزءا و٣٠ جزءا)، فضلا عن مسابقة المجد من سن (٢٦ وحتى ستين سنة)، ومسابقة كبار السن من (٦٠ سنة فما فوق)، كذلك مسابقة القراءات.

وبين المسباح بأن جهود جمعية إحياء التراث



العيسى يكرم فائز آخر

مسابقة الكويت الكبرى تحتوى على: مسابقة النشء والشباب للمراحل الدراسية جميعها من الابتدائي إلى الجامعي، والمسابقة العامة، ومسابقة المجد، ومسابقة كبار السن من (٦٠ سنة فما فوق)، كذلك مسابقة القراءات

جهود إحياء التراث تضافرت في خدمة كتاب الله منذ إنشائها في إنشاء المراكز والحلقات، التي بلغت (٣٠٠) حلقة، وحلقات الأون لاين (١٢٠) حلقة داخل الكويت

خلال جائحة كورونا تم تفعيل حلقات التعليم عن بعد عبر الواتس أو برنامج زوم وغيرها من البرامج، وأصبحنا في تواصل مع أبنائنا وبناتنا الطلاب والطالبات

الإسلامي ممثلة في إدارة مراكز تحفيظ القرآن الكريم وإدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية تضافرت في خدمة كتاب الله -تعالى- منذ إنشائها قرابة الأربعين عاماً في إنشاء المراكز والحلقات، التي بلغت (٣٠٠) حلقة، وحلقات الأون لاين (١٢٠) حلقة داخل الكويت.

كذلك طباعة المصاحف التي بلغت أكثر من مليون مصحف، فضلاً عن الأجزاء والتراجم لمعاني القرآن على مختلف اللغات (الانجليزية والفرنسية والروسية والأوردو)، وغيرها من اللغات، فضلاً عن مكتبات طالب العلم والمحتوية على كثير من الكتب والمجلدات في التفسير وعلوم القرآن وأصوله، وكذلك إنشاء المراكز والحلقات والمعاهد والكليات لتعليم القرآن الكريم في مختلف العالم الإسلامي والقارات.

كما أوضح المسباح بأنه حين قدر الله -تعالى- علينا هذا الوباء والجائحة الكورونا تم تفعيل حلقات التعليم عن بعد عبر الواتس أو برنامج زوم أو قوقل وغيرها من البرامج، وأصبحنا في تواصل مع أبنائنا وبناتنا الطلاب والطالبات؛ حيث بلغ عدد حلقات تحفيظ القرآن (٧٦) حلقة، وعدد الطلبة المشاركين فيها (٧٠٦) طلاب وطالبات،وعدد المحفظين (٧٨) محفظا داخل الكويت.

بعد ذلك قام راعي الحفل الشيخ/ طارق العيسى (رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي) بتوزيع شهادات التقدير على الفائزين في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الثالثة والعشرين.



رداً على تفاعل الجمعية مع توصيات سموه

سمو نائب الأمير وولي العهد يشكر إحياء التراث الإسلامي

ردًا على البيان الذي أصدرته جمعية إحياء التراث الإسلامي تأييدًا وتفاعلاً مع تصريحات سمو نائب الأمير وولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله.

أرسل مكتب سموه كتاب شكر لجمعية إحياء التراث الإسلامي على تفاعلها مع كلمة سموه جاء فيه: يسرنا أن نعرب لكم عن خالص الشكر على ما عبرتم عنه وإخوانكم أعضاء مجلس إدارة جمعية إحياء التراث الإسلامي من مشاعر طيبة وثناء على الكلمة التي وجهناها إلى المواطنين الكرام بشأن المستجدات على الصعيد المحلي.

سائلين المولى -تعالى- أن يوفق الجميع لما فيه خير للوطن العزيز ورفعة شأنه، وأن يديم عليكم موفور الصحة والعافية.



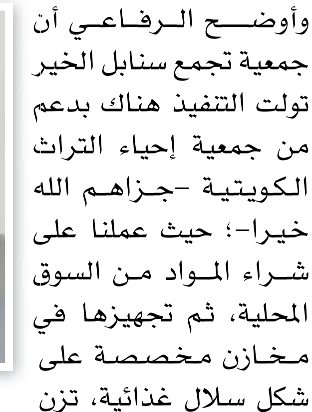


ضمن الحملة الخيرية المشتركة بين جمعية إحياء التراث وسنابل الخير اللبنانية

الرفاعي: شكراً للكويت دعمها بعد انفجار مرفأ بيروت

ضمن الحملة المتواصلة التي تقوم بها جمعية إحياء التراث الإسلامي في لبنان، انطلقت عملية توزيع مواد الإغاثة للفقراء والمتضررين؛ حيث تشرف على تنفيذ هذه الدفعة من مواد الإعانة جمعية تجمع سنابل الخير التربوي الخيرية اللبنانية، وفي تصريح لرئيس مجلس إدارة الجمعية قال الشيخ زياد الرفاعي: نشكر لأهل الكويت تعاطفهم الكبير، وما ابدوه من حب وتعاون بالأفعال لا بالأقوال نحو إخوانهم الفقراء والمحتاجين والمتضررين في أعقاب حادثة انفجار مرفأ بيروت، وقد وزعت دفعة كبيرة من السلة الغذائية التي جهزت ونقلت لتصل إلى المستحقين.

وأوضح الرفاعي أن جمعية تجمع سنابل الخير تولت التنفيذ هناك بدعم من جمعية إحياء التراث الكويتية -جزاهم الله خيرا-؛ حيث عملنا على شراء المواد من السوق المحلية، ثم تجهيزها في مخازن مخصصة على شكل سلال غذائية، تزن الواحدة منها ٣٠ كيلو جراما تقريبا ثم تولى فريق آخر نقل هذه السلال وتوزيعها على المستحقين من الفقراء والمحتاجين




الشيخ زياد الرفاعي

وأضاف الرفاعي أننا في جمعية تجمع سنابل الخير لنا تعامل واسع مع الجهات الخيرية الكويتية، ولا سيما جمعية إحياء التراث الإسلامي، ونحن نعمل مع الجمعية حاليا لطرح مشروع لكفالة الطلبة من الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل تكاليف الدراسة، ومن مختلف المراحل، وتبلغ الدفعة الأولى من هؤلاء الطلبة ٢٨٤ طالبا، منهم ١١٧ من الطلبة السوريين من ابناء اللاجئين في لبنان، ومنهم ١٦٧ طالبا لبنانيا؛ حيث تبلغ كفالة الطالب الواحد ١٠٠ دولار شهريا، وبتكلفة إجمالية تبلغ ٢٨٤٠٠ دولار، ولنا أمل في تنفيذ هذا المشروع، فنحن قد بدأنا من (الكويت إلى جانبكم) وننتهي بـ(شكرا متبرعي دولة الكويت).

وفي ختام تصريحه كرر رئيس مجلس الإدارة في جمعية تجمع سنابل الخير التربوي الخيرية اللبنانية الشيخ زياد الرفاعي شكره وتقديره للمواقف والمبادرات الطيبة لحكومة دولة الكويت ولشعبها الخير المعطاء، وللجان والجمعيات الخيرية على ما قدموه ويقدمونه لإخوانهم في لبنان، وهذا ما تعودناه منهم في كل فرصة وفي كل حين، كيف لا؟ والكويت منارة من منارات الخير تحت قيادة أمير الإنسانية -حفظه الله ورعاه-، والله أسال أن يحفظ الكويت وأهلها من كل شر وسوء.

نشكر أهل الكويت على تعاطفهم الكبير وما أبدوه من حب وتعاون بالأفعال لا بالأقوال نحو إخوانهم المحتاجين والمتضررين في لبنان

لنا تعامل واسع مع الجهات الخيرية الكويتية ولا سيما جمعية إحياء التراث الإسلامي، ونحن نعمل مع الجمعية حاليا لطرح مشروع لكفالة الطلبة من الفقراء

٢٨٤ طالبا منهم ١١٧ من الطلبة السوريين من أبناء اللاجئين في لبنان و١٦٧ طالبا لبنانيا لا يستطيعون تحمل تكاليف الدراسة

إحياء التراث النسائية تدعو النساء والفتيات إلى:

الاشتراك في البرنامج الثقافي الصيفي والاستفادة من دوراته الشرعية والعلمية

دعت إدارة العمل النسائي في إحياء التراث الإسلامي النساء والفتيات للاشتراك في البرنامج الثقافي الصيفي الموجه للنساء الذي تنظمه الإدارة والاستفادة منه؛ حيث يحتوي العديد من الدورات الشرعية والثقافية في علوم التوحيد والتفسير والحديث واللغة العربية، ففي كل يوم اثنين وفي الساعة (١٠) صباحاً ستكون دورة في شرح (كتاب الرقاق) من صحيح البخاري تلقيها أ.فوزية الماجد، وفي الساعة (٨) مساء من اليوم نفسه فسيتم تنظيم دورة في شرح (بداية الخلق) للأستاذة نوال الدويسان.

كما ستكون هناك دورة في (التيسير في أصول التفسير) للشيخ/ د.محمد الحمود النجدي في الساعة (١١) صباحاً ظهراً، وفي الساعة (٧) مساء دورة في (وقفات المتأمل من هدايات سور المفصل) تلقيها د. صبيحة الفرج، وذلك كل يوم ثلاثاء، ويوم الأربعاء سيكون فيه دورتان: الأولى في (شرح كتاب التوحيد) للشيخ/حمد الأمير في تمام الساعة (١٢ر٣٠) ظهراً، والثانية ستكون في (تفسير سورة الحج) تلقيها أ. لطيفة الغريب.

كما ستكون هناك دورة في (تفسير سورة الأنعام) وتلقيها أ. انتصار المكيمي في الساعة (١١) صباحاً، فضلا عن دورة في (شرح رياض الصالحين) للأستاذة هند العيناتي في الساعة (٧) مساء، وذلك كل يوم خميس.

أما دورة (شرح كتاب التوحيد) للشيخ/ حمد الأمير فستقام في الساعة (١٢,٣٠) ظهراً، وفي الساعة (٧) مساء دورة في (شرح متن الآجرومية) للشيخ/سعد الشمري، وذلك كل يوم سبت.

وفي يوم الأحد هناك دورة في شرح (حلية طالب العلم) للشيخ/جمعان الشبيب، وذلك في تمام الساعة (١٢ر٣٠) ظهراً، وفي الساعة (٧) مساء ستكون هناك دورة في (محاسن الأخلاق) تلقيها د. صبيحة الفرج، وأوضحت إدارة فروع العمل النسائي بأن جميع الدورات تذاع عبر البث المباشر(ZOOM).

ودعت الإدارة النساء والطالبات للمشاركة في هذه البرامج والاستفادة منها في استغلال الوقت فيما يعود عليهن بالخير والمنفعة.

في تقرير لها حول أعمالها خلال النصف الأول من هذا العام

إنجازات متميزة لإحياء التراث في منطقة الرقة

قامت جمعية إحياء التراث الإسلامي في منطقة الرقة بتنفيذ العديد من المشاريع الخيرية ودعم عدد من المؤسسات؛ حيث جاء في تقرير لفرع جمعية إحياء التراث الإسلامي في منطقة الرقة أنه قام خلال النصف الأول من هذا العام (٢٠٢٠م) بتنظيم (٣٠) حلقة تحفيظ قرآن من خلال (أون لاين)، ومساعدة (٦٧٦) أسرة، وتركيب (٢٥٠) برادة مياه في مختلف مناطق الكويت وصيانتها. فضلا عن عمل (١٧٦) وقفية، وتوزيع (٧٦٠٠) سلة غذائية على المحتاجين داخل الكويت، وكفالة (١٩) يتيماً، وتوزيع (١٢٠) مصحفاً.

ومما قام به الفرع أيضاً تقديم (١٠) آلاف وجبة إفطار صائم خلال شهر رمضان المبارك، كذلك توزيع (٧٧) ذبيحة خلال عيد الأضحى. أما المشاريع الإنشائية فقد أوضح الفرع في تقريره بأنه قام ببناء (٣) مساجد، وحفر (٧) آبار في مناطق مختلفة.

كذلك فقد قام الفرع بالمشاركة في دعم المؤسسات الصحية داخل الكويت؛ حيث تم تقديم دعم لمستشفى العدان بمبلغ لشراء (٢٥٠) دعامة قلبية، خصصت للمحتاجين والمعسرين ممن لا يستطيعون تحمل قيمتها، فضلا عن تنفيذ حملة لمساعدة (مرضى السرطان) من خلال تقديم الدعم لتغطية نفقات العلاج الكيماوي لهؤلاء المرضى.

والجدير بالذكر أن جمعية إحياء التراث الإسلامي في منطقة الرقة قامت -ومن خلال اللجان التابعة لها بتنفيذ العديد من المشاريع الخيرية والدعوية، التي كان منها قيام لجنة الدعوة والإرشاد التابعة لها بتنفيذ أعمال عدة، نفع الله -تعالى- بها مجتمعنا الكويتي، وذلك من خلال نشر الوعي الديني والعقيدة الصحيحة بين أفراد المجتمع، والتذكير والدعوة إلى الله -تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، كذلك من أهدافها حل المشكلات الاجتماعية التي تخص الأسرة والشباب والمرأة من وجهة نظر إسلامية، ولتحقيق أهدافها قامت هذه اللجنة بتنظيم العديد من الدروس الشرعية والندوات والأسابيع الثقافية.

تنظمها إحياء التراث الإسلامي في الجهراء

انطلاق حلقات الأسانيد القرآنية

بدأ مركز أهل القرآن في منطقة الجهراء التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي العمل بحلقات الأسانيد القرآنية، التي سيحصل الطالب بعد اجتيازها على سند وجائزة تكريمية.

وقد وضعت إدارة المركز شرطين للالتحاق في هذه الحلقات، وهما أن يكون الطالب حافظاً للقرآن الكريم، وأن يجتاز المقابلة الشخصية، علماً بأن التسجيل سيكون من خلال الواتس أب ٩٨٨٥٣٣٠٢.

وتأتي مثل هذه الأنشطة سعياً من جمعية إحياء التراث الإسلامي بمختلف لجانها ومراكزها لشغل أوقات الطلبة والطالبات خلال العطلة الصيفية بما يعود عليهم بالنفع والفائدة في دنياهم وأخراهم.

والجدير بالذكر أن إدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية التابعة للجمعية في منطقة الجهراء تهتم بنشر الوعي الديني في المجتمع، وترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوب أبنائه، وربط جيل الشباب بالقرآن الكريم، فضلا عما تقوم به من أنشطة ثقافية واجتماعية وتوعية، فإنها اهتمت بالمشاريع الإغاثية والدعوية لدول العالم كافة، وكذلك إقامة المشاريع الإسلامية كالمساجد والآبار والمراكز الإسلامية، وملاجيء الأيتام، واستقبال الزكاة وتوصيلها لمستحقيها.



اختتام دورة (الإمام محمد بن عبد الوهاب الشرعية السادسة والعشرين) في إحياء التراث

اختتمت في مركز منابر لإعداد طالب العلم التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي فعاليات دورة (الإمام محمد بن عبد الوهاب الشرعية السادسة والعشرين) التي تم تقسيمها إلى مستويين: الأول للأعمار من (١٢ - ١٤) سنة، وتم تدريسهم (منهج السالكين١ - كتاب الطهارة وأصول الإيمان)، والمستوى الثاني للأعمار من (١٥ - ١٧)، وفيه درسوا (منهج السالكين ٢ - كتاب الصلاة والأربعون النووية).

وهي دورة مخصصة للأعمار من (١٢-١٧) سنة، تمت المشاركة فيها عبر برنامج (zoom). وسيتم تنظيم حفل لتكريم الطلبة المتفوقين فيها وسيتم الإعلان عنه لاحقاً.

وهدفت الدورة إلى جملة من الأمور من أهمها: غرس الوازع الديني وتعزيزه في نفوس الشباب، وحماية هذه الشريحة من الضياع والانحراف ولا سيما في أوقات الفراغ، كذلك التحذير من الاعتقادات الباطلة والأفكار الهدامة، وتأصيل الأخلاق الإسلامية.

وحول تسمية هذه الدورة بهذا الاسم، فإنه يأتي انطلاقاً من إحياء سيرة علماء السلف المجددين لهذا الدين، فقد تم تسمية هذه الدورة باسم هذا المجدد (الإمام محمد بن عبد الوهاب)، الذي كان له دور كبير بعد فضل الله -تعالى- في رفع راية التوحيد ونصرة دين الله -تعالى- في شبه الجزيرة العربية وخارجها؛ حيث حارب أهل الأهواء والبدع والشرك، ودعا إلى تصفية الإسلام من هذه الشوائب.

والجدير بالذكر أن هذه الدورة تنظم سنوياً، ويدرّس فيها نخبة من الشيوخ، كما يقام في نهايتها حفل لتوزيع الشهادات للمشاركين فيها، فضلا عن توزيع جوائز قيمة على الطلبة المواظبين والمتميزين.

شرح كتاب الزكاة من صحيح مسلم

باب: فضل إخفاء الصدقة

الشيخ: محمد الحمود النجدي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

الشرح:

الحديث رواه مسلم في الزكاة (٢/٧١٥) باب: فضل إخفاء الصدقة.

ورواه البخاري في الزكاة (١٤٢٣) باب: الصدقة باليمين، ومواضع غيرها. فالحديث متفق عليه.

- قوله: «سبعة» هذا العدد لا مفهوم له، فقد وردت روايات أخرى، تُبيّن أنّ هناك مَنْ يظلهم الله في ظله، غير هؤلاء المذكورين في هذا الحديث.

- قوله: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ» إضافة الظّل إلى الله تعالى إضافة تشريف، وكُلّ ظلٍّ فهو ملكُهُ. وقيل: المُراد بظلّه: كَرَامته وحِمايَته، كما يُقَال: فُلانٌ في ظلّ المَلِك. وقيل: المُراد ظلّ عَرْشه وهو أرجح، كما في رواية أخرى: «في ظل عرشه».

«يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» المراد: يوم القيامة.

وهذا مما يمن الله به على عباده المؤمنين، في ذلك اليوم العظيم، الذي يكون الناس فيه في كربٍ وشدّة، وتدنو الشّمس من الخلائق على قدر ميل، ويَعْرق الناس كلٌ على حسب عمله، إلا بعض المؤمنين الذين يختصّهم الله فيُظلهم تحت ظله، ويقيهم من الشمس والعرق.

فعن عُقْبَةَ بن عَامر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ ...». رواه الإمام أحمد (١٦٧٩٨).

الإمام العادل

قَوْله: «الإِمَام العَادِل» الإمام المُرَاد به: صاحب الْوِلَايَة العُظْمَى، ويَلْتَحِقُ به كُلُّ مَنْ وَلِيَ شيئًا مِنْ أُمُور المُسْلمين ومصالحهم فَعَدَلَ فيه، من الولاة والقضاة والوزراء وغيرهم. والعدل: ضد الجَور، والعادل مَنْ حكم بالحق. أو العَادِل: الّذي يَتّبِعُ أَمْر اللّه تعالى بوَضْع كُلّ شَيْء في مَوْضعه، مِنْ غَيْر إفْرَاط ولا تَفْرِيط. وَقَدّمَ الإمام العادل في الذّكْر، لِعُمُوم النّفْع به للناس.

شاب نشأ بعبادة الله

- قوله: «وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ» وَفي حديث سلمانَ: «أَفْنَى شَبَابه ونَشَاطه في عِبَادَة اللَّه» خَصّ الشّابّ لِكَوْنه مَظنّة غَلَبَة الهوى والشّهْوَة عليه والطيش، ولِمَا فيه مِنْ قُوّة البَاعث على ذلك؛ فمُلازَمَة العِبَادَة مع ذلك، أَشَدُّ وَأَدَلّ على غلبَة التّقْوَى، وقوة الإيمان، لوجود الصوارف عنها، ولذا كان أرفع درجة من ملازمة غيره لها.

- قَوْله: «ورجلٌ قلبُه مُعَلّق في المَسَاجد» وظاهره أَنّهُ مِنَ التّعْلِيق، كَأَنّهُ شَبّهَهُ بالشّيْءِ المُعَلّق في المَسْجِد- كَالقِنْدِيل مَثَلًا- إشَارَةً إلى طُول المُلازَمَة بقَلْبِه وإنْ كَانَ جَسَده خارجًا عنه، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُون مِنَ العَلَاقَة وهيَ شِدّة الحُبّ.

الحب في الله

- قوله: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ» تَحَابّا بِتَشْدِيد البَاء، أَيْ: اشْتَرَكَا في المَحَبّة، في الله تعالى، لا لأجل أمرٍ دُنيوي ولا غيره، وأَحَبّ كُلٌّ منْهُما الآخَرُ حَقِيقَةً لا ظَاهِرًا فَقَط. وقوله: «اجْتَمَعَا عليه، وتَفَرّقَا عليه» المُرَاد أَنّهما دَامَا على المَحَبّة الدّينِيّة، ولَمْ يَقْطَعَاهَا لعَارِضٍ دُنْيَوِيّ، سَوَاء اجْتَمَعَا حَقِيقَةً أَمْ لا، حَتّى فَرّقَ بَيْنَهُمَا المَوْت.

إني أخاف الله

- قَوْله: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ» دعته، أي:



إضافة الظّل إلى الله -تعالى- إضافة تشريف، وكُلّ ظِلّ فهو مِلكُه. وقِيل: المُرَاد بِظِلِّه: كَرَامَته وحِمَايَته

الإمام العادل صاحب الوِلايَة العُظمَى، ويَلْتَحِقُ بِه كُلّ مَنْ وَلِيَ شيئًا مِنْ أُمُور المُسْلِمِين ومصالحهم فعَدَلَ فِيه

طلبته، المُرَاد بِالمَنْصِب: الأَصْل أَوْ الشَّرَف، ويُطْلَقُ على المَال أَيْضًا، فَقَدْ وَصَفَهَا بِأَكْمَلِ الأَوْصَاف الَّتِي جَرَتْ العَادَة بِالرَّغْبَة فيها لِمَنْ اجتمعت لها من النساء، فالمَنْصِب يَسْتَلْزِم الجَاه، والمَال مَعَ الجَمَال داع قوي للرجال، وقَلّ مَنْ يَجْتَمِع ذَلك فيها مِنْ النِّسَاء. وقوله «دَعَتْه» الظَّاهِر أَنَّها دَعَتْهُ إِلَى الفَاحِشَة.

قَوْله: «فَقَالَ إِنِّي أَخَاف اللَّه» الظَّاهِر أَنَّهُ يَقُول ذَلِكَ بِلِسَانه، إِمَّا لِيَزْجُرَهَا عَنْ الفَاحِشَة، أَوْ لِيَعْتَذِرَ إِليها. ويَحْتَمِلُ أَنْ يَقُولَهُ بِقَلْبِه.

وهذا كما قال الله -تعالى- عن نبي الله يوسف -عليه السلام-: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣).

فقوله -تعالى-: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ وهي امرأة العزيز، طلبت منه أنْ يواقعها، وأَصْل المُراودة الإرادة والطّلب برفق ولين. ﴿وغلقت الأبواب﴾ غلق يقال للكثير، ولا يقال: غلق الباب يقال: إنها كانت سبعة أبواب غلقتها ثم دعته إلى نفسها.

﴿وقالت هيت لك﴾ أي: هلم وأقبل وتعال؛ قال -تعالى- عن موقف يوسف -عليه السلام-: ﴿قال معاذ الله﴾ أي: أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتني إليه؛ وهو مصدر، أي: أعوذ بالله أنْ أفعل هذ الفعل القبيح، الذي يُسْخطُ الله -تعالى-: (إنه ربي) يعني: زوجها، هو سيدي أكرمني فلا أخونه؛ قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي. وقال الزجاج: أي: إنّ الله ربي تولاني بلطفه، فلا أرتكبُ ما حرّمه. ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لا يفلح من تعاطى الظلم ووقع فيه، وتعدّى حدود الله.

الإخلاص في الصدقة

- قَوْله: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَة فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ» الصدقة: ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القُرْبة، سواء كان فرضاً كالزكاة المَفروضة، أم تطوعاً، ثم غلب استعمال الصّدقة على صدقة التطوع.

والمَعْنَى المَقْصُود هُوَ إِخْفَاء الصَّدَقَة، والمُبَالَغَة فِي إِخْفَاء الصَّدَقَة، بِحَيْثُ إنّ يده الشمَال مع قُرْبها مِنْ يَمِينه وتَلازُمهما، لَوْ تَصَوَّرَ أَنَّها تَعْلَم لَمَا عَلِمَتْ مَا فَعَلَتْ اليَمِين، لِشِدَّة إِخْفَائِهَا، وهذا مِنْ مَجَاز التَّشْبِيه.

والصدقة فاضلة سراً كانت أو علانية، يقول -تعالى-: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ (البقرة: ٢٧١).

وإظهار الصّدقة أو إخفاؤها فضلها يختلف باختلاف الأحوال، فإنْ كان في إظهارها مصلحة فهو أفضل، وإلا فإخفاؤها أفضل فرضاً ونفلاً.

ففاضت عيناه

- قَوْله: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» أَيْ: ذكر الله بِقَلْبِه، أَوْ بِلِسَانه. «خَالِيًا» مِنْ الخَلْوَة، أي: وحيداً، لأَنَّهُ يَكُون حِينَئِذٍ أَبْعَدَ مِنْ الرِّيَاء، أو المُرَاد: خَالِيًا مِنْ الالْتِفَات لغيرِ اللَّه -تعالى.

- قَوْله: «فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» أَيْ: فَاضَتْ الدُّمُوع مِنْ عَيْنَيْه، وأُسْنِدَ الفَيْضُ إلى العَيْن مُبَالَغَةً كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي فَاضَتْ. وفي الحديث عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله». رواه الترمذي وحسّنه، وصحّحه الألباني.

وفي رواية أنس بن مالك -رضي الله عنه- عند أبي يعلى: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا: عَيْنٌ بَاتَتْ تَكْلأُ المُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ الله، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله». والبكاء من خشية الله -تعالى- أصدق وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة، والعين التي تذرف الدمع من خشية الله لن تمسها النار، لأن العين تتبع القلب، فإذا رقّ القلب دمعت العين، وإذا قسَى القلب قَحَطت العين، قال الإمام ابن القيّم في «بدائع الفوائد»: «ومتى أقْحَطت العينُ من البكاء منْ خشية الله -تعالى-، فاعلم أنّ قحطها منْ قسوة القلب، وأبعد القلوب من الله: القلب القاسي».

وقد كان النبي -ﷺ- يستعيذ بالله منَ القلبِ الذي لا يَخْشع، فيقول: «اللهم إني أعُوذُ بك منْ علم لا يَنْفع، ومنْ قلبٍ لا يَخْشَع، ومنْ نفسٍ لا تَشْبع، ومنْ دعوةٍ لا يُسْتجاب لها». رواه مسلم.

ومدح الله -تعالى- البكّائين منْ خشيته، منْ أنبيائه وأوليائه الصالحين، فقال في محكم التنزيل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨)، وروي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قرأ هذه الآية، فسجد، وقال: هذا السُّجود، فأين البُكي؟ يريد البكاء. و«البكي» جمع باك.

النساء شقائق الرجال

تنبيه: ذِكْر الرِّجَال فِي هذا الحَدِيث لا مَفْهُوم له، بلْ يَشْتَرِك النِّسَاء مَعَهُم فِيما ذُكِرَ، إلا بِالإِمَام العَادِل وهي الإِمَامَة العُظْمَى، فلا مدخل للنساء فيها، فالولاية العظمى والقضاء خاصّة بالرجال، فالمرأة لا تلي للمُسْلمين ولاية عامة، ولا تكون قاضية، لكن يمكن أنْ يكون عليها العدل فيما تصح به ولايتها، كمديرة المدرسة، ونحوها.

وكذلك تَخْرُج خَصْلَة مُلازَمَة المَسْجِد، لأَنّ صَلاة المَرْأَة في بَيْتِهَا أَفْضَل مِنْ صلاتها في المَسْجِد، ومَا عَدَا ذلكَ فَالمُشَارَكَة حَاصِلَةٌ لَهُنّ، حَتّى الرَّجُل الّذي دَعَتْهُ المَرْأَة، فَإِنّه يُتَصَوَّر فِي امْرَأَة دَعَاهَا مَلِكٌ جَمِيل مَثَلا فَامْتَنَعَتْ خَوْفًا مِنْ اللّه -تَعَالَى- مَعَ حَاجَتِهَا. فتح الباري (١٤٤/٢).

- وهناك آخرون يظلّهم الله في ظلّه- غير السبعة المذكورين في الحديث السابق- جاء ذكرهم في أحاديث أخرى، نظمهم ابن حجر -رحمه الله تعالى- في فتح الباري (٦٢٠)، وهم: «إِظْلال الغَازي، وعَوْن المُجَاهِد، وإِنْظَار المُعْسِر وَالوَضِيعَة عَنْهُ وَتَخْفِيف حِمْله، وإِرْفَاد ذِي غُرْم، وَعَوْن المُكَاتب، وتَحْسِين الخُلُق، والمَشْي إلى المساجد، والتَّاجِر الصَّدُوق، وآخِذ حَقّ، والبَاذِل، والكَافِل».

فضل الله واسع

وقد ذُكر هذا الفضل في أحاديث أخرى لغير هؤلاء السبعة، مثل: الغازي في سبيل الله، والذي ينظر المعسر، ومعين الغارم، وكثير الخطى إلى المساجد، وغيرهم، مما جعل أهل العلم يقولون: إن العدد المذكور لا مفهوم له، فلا يراد به الحَصْر. وقد تتبع الحافظ ابن حجر رحمه الله تلك الخصال، وأفردها في كتاب سماه: «معرفة الخِصَال المُوصلة إلى الظلال». نسأل الله أن يظلنا تحت ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

ما يستفاد من الحديث

ومما يؤخذ من الحديث من الأحكام والتوجيهات:

١- في الحديث ترغيب ببعض الأعمال الصالحة التي ينال صاحبها جزاء خاصاً يوم القيامة، لتميزه بهذا العمل، فقد ذكر الرسول -ﷺ- هؤلاء السبعة الذين تميز كل منهم بميزة خاصة، حثّاً لأمته على الاتصاف بها.

٢-عظّم الشرعُ أمرَ العدل، سواء كان في الولاية العظمى، أو فيما دونها من الولايات، حتى في أمور الإنسان الأسرية، كالعدل بين الزوجات، والعدل بين الأولاد، وغير ذلك، قال -تعالى-: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل: ٩٠). وقال -تعالى-: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (الشورى: ١٥). وقال -ﷺ-: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم». وقال -ﷺ-: «إنّ المُقْسطين عند الله، على منابرَ منْ نُور عن يمين الرحمن -عزّ وجل-، وكلتَا يَديه يمين، الذين يَعْدلُون في حُكْمهم وأَهْليهم وما ولوا». رواه مسلم. وذكر الإمام العادل في أول الخصال لعظم أمر الإمامة والعدل فيها.

٣- مرحلة الشّباب منْ أهم مراحل العمر، تقوى فيها العزيمة، وتمتلئ بالحيوية والنشاط، ولهذا اتقى الله، وسلك صراطه المستقيم في شبابه، وغالب هواه ونزواته، استحق تلك الدرجة العالية المذكورة في الحديث، وما يعين الشباب على تحقيق هذه الخصلة:

أ- طلب العلم الشرعي والاشتغال به.

ب- استغلال فرصة الشباب بحفظ كتاب الله -تعالى-، أو ما تيسر منه.

ج- تعويد النفس على استغلال الوقت بما ينفع من قول وعمل، ديني ودنيوي.

د- مصاحبة الصالحين المستقيمين على منهج الله -تعالى-.

٤- المساجد بيوت الله -عز وجل-، ومكان أداء الصلوات المفروضة، وأنواع من العبادات المستحبة، وميدان العلم والتعلم، والمذاكرة والمناصحة، وكلها أعمال جليلة، يستحق الملازم لها ذلك الثواب العظيم. فضلا عن أنّ المُتَعلّق بالمسجد بعيدٌ عن رؤية المنكرات، وقريب من الله -سبحانه وتعالى-، فيصفو قلبه، وتنجلي همومه وأكداره، ويعيش في روضة من رياض الجنة، فتكفر سيئاته، وتكثر حسناته.

٥- العلاقات بين الناس قائمة على أُسُس متعددة، منْ مَصَالح مادية، وشراكة مالية، وقرابة أُسَرية، وتجانس بلدي أو قبلي ونحوها، والإسلام يشجع المسلمين على بناء العلاقات على أساس المَحبّة في الله تعالى، والقاسم المشترك فيها طاعة الله -سبحانه-، ووردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة في هذا الأمر، كقول الله -تعالى-: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله -تعالى-: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧). ويقول الرسول -ﷺ-: «إنّ أوْثقَ عُرَى الإيمان: الحبُّ في الله، والبُغْض في الله». رواه أحمد (١٨٥٢٤).

وروى البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، والنسائي (٥٠١٧)- واللفظ له- عن أَنَس -رضي الله عنه-: أَنّ رَسُولَ اللّه -ﷺ- قال: «وَالّذي نَفْسُ مُحَمّد بيَده، لَا يُؤْمنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحبّ لأَخيه ما يُحبُّ لنَفْسه، منَ الْخَيْر».

٦- للنفس البشرية رغباتٌ وشهوات، وجه الإسلام لإشباعها بمنهج ثابت معلوم، والشيطان حريص على أنْ يميل الإنسان مع شهواته فيخسر دنياه وأخراه.

ومما يميل إليه الرجل المرأة، فإنْ اتصفت بصفات الجمال والمنصب والحسب والشرف، كان أكثر ميلاً لها، فإذا ما كانت الدعوة موجهة منها، مع الأمن من عقوبة الناس، كانت نفس الرجل أكثر ميلاً، وهنا يظهر داعي الإيمان عند المؤمن الصادق، فيقول: إني أخاف الله، فإذا قالها بلسان وصدقها عمله، نال جزاءه العظيم المذكور في الحديث، وهكذا يريد الإسلام بأن يكون الرجال والنساء أعفاء شرفاء، بعيدين عن الفواحش والآثام والمحرمات، يراقبون الله سراً وعلانية. قال الشاعر:

وإذا خَلوتَ بريبةٍ في ظُلمة
والنّفسُ داعيةٌ إلى العِصْيان
فاستَحي منْ نَظَر الإله وقُلْ لها
إنّ الذي خَلَق الظلامَ يَراني

٧- الصدقة عملٌ صالحٌ عظيم، وفضلها عميم، وثمارها يانعة، في الدنيا والآخرة، ولا تحصى النصوص في بيان فضلها وثوابها، ومضاعفة الأجر لصاحبها، وقربه من الجنة ورضا الله، وحجبه عن النار، يقول الله -تعالى-: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

٨- ومما أفاده الحديث: فضل الإخْلاص في العبادة لله -جل وعلا-، فإن الأمر الجامع بين الأعمال المذكورة في الحديث: إخلاصها لله -سبحانه وتعالى-، وتجرّدها عن المقاصد الأخرى. فليحرص المؤمن على أنْ يكون له عملٌ خفيٌ، لا يعلم به أحد من الناس، ليكون أبعد عن الرياء، وليتعود الإخلاص.

٩- ومن الأمور الجامعة بين هذه الصفات أيضاً: الصبر وهو حبس النفس والتّحمل، ولا شك أن طاعة الله تعالى، وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر ومصابرة، لأن فيها معارضة للشيطان والنفس والهوى، فإذا جاهدهم وانتصر عليهم استحق الجزاء الأوفى.

ليحرص المؤمن على أنْ يكون له عملٌ خفيٌ، لا يعلم به أحد من الناس، ليكون أبعد عن الرياء، وليتعود الإخلاص

طاعة الله -تعالى-، وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر ومصابرة؛ لأن فيها معارضة للشيطان والنفس والهوى

د. أمير الحداد(*)
www.prof-alhadad.com

فلا تكونن من الممترين

من نعم الله علي أن رزقني جيرانا مميزين في المنطقة التي انتقلنا إليها، (بو عبدالله) عن يميني، و(بوفيصل) عن يساري، كلاهما ملتزمان بصلاة الجمعة في جامعنا، (بوفيصل) يعمل في مركز خدمة المواطن، وهو في سن ابنتي الكبرى، (وبوعبدالله) متقاعد، يصغرني بعام واحد فقط.

خرجنا من صلاة الجمعة عائدين إلى مساكننا مشيا على الأقدام.

- بعض الآيات مثل التي قرأها إمامنا اليوم عن تحول القبلة {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧)، أشعر أنها لا تعني النبي -ﷺ-، وإنما تعني آخرين قد يصيبهم شك أو ريب، أما النبي -ﷺ- فليس لديه شك على الإطلاق في القضايا التي توحى إليه، هكذا بدأ الحوار (بوفيصل):

هذه الآية تكرر معناها في أربعة مواضع من كتاب الله، في سورة آل عمران، بعد ذكر عيسى -عليه السلام-: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ} (آل عمران:٥٩-٦٠)، وفي سورة الأنعام: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (الأنعام:١١٤)، وفي سورة يونس: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (يونس:٩٤).

- ليتك تبحث في مكتبتك الشاملة التي تحملها في هاتفك عن تفسير هذه الآيات.

- لك ذلك يا أبا عبدالله، ولكن تجلسون عندي ربع ساعة حتى نقرأ ما نجده في كتب التفسير.

استجابا لطلبي، وبالفعل بلغنا منزلي وأخذنا مجلسنا في مكتبي الصغير، وقد اكتمل البحث عن تفسير هذه الآيات.

- إليكما ما وجدت:

{الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧)، يعني استقبال الكعبة، الامتراء: الشك، نهاه الله -سبحانه- عن الشك في كونه من ربه، أو في كون كتمانهم الحق مع علمهم، وعلى الأول هو تعريض للأمة، أي: لا يكن أحد من أمته من الممترين، لأنه -ﷺ- لا يشك في كون ذلك هو الحق من الله -سبحانه-، وهو تحذير للأمة وهذه عادة القرآن في كل تحذير مهم ليكون خطاب النبي -ﷺ- بمثل ذلك وهو أقرب الخلق إلى الله -تعالى- وأولاهم بكرامته دليلا على أن من وقع في ذلك من الأمة قد حقت عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب.

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ} (آل عمران:٥٩-٦٠)، التشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب.

الحق من ربك فلا تكن من الممترين لما فيه من إيماء إلى أن وفد نجران ممترون في هذا الذي بين الله لهم في هذه الآيات: أي فإن استمروا على محاجتهم إياك مكابرة في هذا الحق أو في شأن عيسى فادعهم إلى المباهلة والملاعنة.

ذلك أن تصميمهم على معتقدهم بعد هذا البيان مكابرة محضة، بعد ما جاءك من العلم وبينت لهم، فلم يبق أوضح مما حاججتهم به فعلمت أنهم إنما يحاجونك عن مكابرة، وقلة يقين، فادعهم إلى المباهلة بالملاعنة الموصوفة هنا.

للحديث بقية

(*) أستاذ في جامعة الكويت

فقه الاستعداد

الشيخ: فتحي الموصلي

فقه الاستعداد هو الفقه المغيّب عن الأمة، والسبب المعطّل في واقع الدعوة، والحل المؤجّل في التعامل مع كل فتنة، وهو في حقيقة الأمر مطلوبٌ في كل مهمة وضروريٌ في الخروج من كل أزمة، هذا الفقه واجب وجوبا عينيا أو كفائيا بحسبه، ولا سبيل للوصول إلى الغايات، والعافية في النهايات، والسلامة من المجريات إلا بهذا الفقه الأصيل والمطلب العريق، وقبل الكلام عن مفاهيمه وحقائقه وميادينه ؛ لا بد من التذكير بثلاث حقائق ترتبط بواقع الأمة:

الحقيقة الأولى

أن الاستعداد للشيء قبل الشروع فيه هو مرحلة برزخية بين العجز والقدرة التامة ؛ فليس للعبد - في الغالب - أن ينتقل مرةً واحدة من العجز فيكون قادرا مستطيعا إلا بعد المرور بالاستعداد ؛ فيستعد بأسباب يخرج بها من العجز ليدخل في وصف القدرة ؛ فمثلما لا ينتقل العبد من الجهل إلى العلم والحكمة إلا بالتعلم ؛ فكذلك لا ينتقل العبد من العجز إلى القدرة التامة التي تقتضي منه القيام بالمطالب العظيمة والتكاليف الجليلة إلا بقوة الاستعداد وحسن التأهب وواقع كثير من الناس هو الرغبة في الدخول في القدرة من غير عُدة؛ ولهذا هم في فتنة ؛ فلا للعجز كسروا ولا القدرة بلغوا!.

الحقيقة الثانية

غالب الأحكام الشرعية والطاعات الإيمانية مسبوقة بالاستعداد ومتبوعة بالاستدراك والاستغفار... وكثير من الناس لا يلتفت إلى السوابق واللواحق وإنما يشتغل بالأواسط وبالأشياء نفسها ؛ لهذا يكون دخولهم في العبادة ضعيفا وخروجهم منها سريعا ؛ فيضعف عندهم الخشوع والإحسان في أداء العبادة ويدخل عليهم الاغترار والكسل عند القيام بالطاعة، ومثاله: ضعف الاستعداد للصلاة يفضي إلى قلة الخشوع، وعدم الذكر والاستغفار بعدها يورث الاغترار بالطاعة، وكذلك العلم والجهاد والصيام والزكاة.

فقه الاستعداد هو الفقه المغيّب عن الأمة، والسبب المعطّل في واقع الدعوة

الحقيقة الثالثة

لقد سادت في كثير من الأوساط الدعوية وفي بعض المحافل السياسية والاجتماعية وفي بعض أروقة المؤتمرات والندوات العلمية أفكار وظواهر بعيدة عن الاعتدال ؛ منها ما يدعو إلى النفير والاستعجال، ومنها ما قد أصابه الفتور والاسترخاء، وثالثة تميل إلى الاستبطاء والاكتفاء بالدعاء، والرابعة



جالسة على التّل ليس عندها إلا الانتقاد دون الاعتناء بحسن الاستعداد ولا التأهب للعمل والاجتهاد ؛ لأن القسمة عند أهل هذه الظواهر ثنائية لا ثلاثية: إما عاجز وإما قادر، وإما جاهل وإما عالم.

قضية مهمة

وهاهنا نشير إلى قضية مهمة ينبغي أن تكون حاضرةً في أذهان الدعاة والمصلحين، وهي اعتناء نصوص القرآن والسنة بفقه الاستعداد في العهدين المكي والمدني ؛ فقد تربى الجيل الأول في العهد المكي والمدني على أصل عظيم، وهو (التربية على دفع الخطر والضرر بالاستعداد، وعلى تحصيل المصلحة والخير بالاعتماد)، فالمسلم يستعد بالأسباب الحسية والمعنوية لجلب الخير ودفع الشر، ويعتمد في استعداده هذا على ربه، فيجمع بين قوة الاستعداد وكمال الاعتماد ؛ كما قال -تعالى-: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} ؛ فهذه الآية مكية أُمر فيها النبي -ﷺ- بالإعراض عن المشركين والاستعداد لهم ؛ فالانتظار هنا يتضمن معنى الترقب والاستعداد وليس الترقب فحسب ؛ وقال -تعالى- أيضا في سورة سبأ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وهنا امتزج الاستعداد المعنوي والحسي، والديني والكوني ؛ حتى انتهى إلى الاستعداد الحربي ثم ختم بالاستعداد الإيماني؛ لبيان أن منهج الاستعداد قبل الشروع في الفعل هو منهج الأنبياء والمرسلين.

الاستعدادات في العهد المدني

وفي العهد المدني كان الاستعداد الحسي والمعنوي معا كما في قوله -تعالى-: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} ؛ بل وحتى الاستعداد النفسي قبل الدخول في المفاصلة مع العدو ؛ كما في قوله -تعالى-: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، والأدلة على ذلك كثيرة لا حصر لها .

ميادين الاستعداد

والاستعداد كثيرة وميادينها وأنواعها عديدة ؛ ومنها :

- **الاستعداد للصلوات والطاعات.**
- **الاستعداد ليوم المعاد.**
- **الاستعداد للجهاد والتأهب له بالإعداد.**
- **الاستعداد للتبليغ والحوار.**
- **الاستعداد لأسباب العلم والاجتهاد.**

غالب الأحكام الشرعية والطاعات الإيمانية مسبوقة بالاستعداد ومتبوعة بالاستدراك والاستغفار

الاستعداد للشيء قبل الشروع فيه هو مرحلة برزخية بين العجز والقدرة التامة

- **الاستعداد لقبول الحق والنصيحة.**
- **الاستعداد لأوقات الافتقار والانتقاص بالاقتصاد.**
- **الاستعداد لعمارة الأرض بالعلم والإيمان.**
- **الاستعداد لمشاريع البر والإحسان.**
- **الاستعداد للخروج من المخاطر والأزمات.**
- **الاستعداد للموت هادم اللذات.**

وأخيرًا، الاستعداد لرؤية رب العباد، وهو أعظم الاستعدادات وأشرفها؛ كما جاء في الحديث الذي في الصحيح: قال رسول الله -ﷺ-: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا».

ومن أراد سبيل الرشاد فعليه أن يعتني بهذه الأنواع، ويدرك حقيقةً مهمةً وهي أن الكمال - في زماننا وفي جميع الأزمان - يتحقق بالأعتناء بالأمور الخمسة الكلية، وهي:

- **الاعتناء بفقه الاستعداد.**
- **الاعتناء بحسن الانقياد.**
- **الاعتناء بضوابط الاجتهاد.**
- **الاعتناء بأدب الانتقاد.**
- **الاعتناء بسلامة الاعتقاد.**



السبيل الأمثل في الدعوة إلى الله

بين الله -سبحانه وتعالى- طريق الدعوة إليه، وماذا ينبغي للداعي؟ فقال -عز وجل-: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف:١٠٨). فالداعي إلى الله يجب أن يتحلى بالعلم والبصيرة، والإخلاص لله، والموعظة الحسنة.

العلم والبصيرة

فيجب أن يكون لدى الداعي العلم والبصيرة فيما يدعو إليه، وفيما ينهى عنه، حتى لا يقول على الله بغير علم. وأن يكون لديه الحكمة أي العلم، وسمي العلم بالحكمة؛ لأنه يردع عن الباطل، ويعين على اتباع الحق. وأن يصاحب ذلك الإخلاص لله في دعوته، يريد ثوابه ومغفرته، ويريد صلاح الناس. وأسلوبه في الدعوة بالموعظة الحسنة.

الموعظة الحسنة

فيكون مع العلم موعظة حسنة، وجدال بالتي هي أحسن، عند الحاجة إلى ذلك؛ لأن بعض الناس قد يكفيه بيان الحق بأدلته، لكونه يطلب الحق؛ فمتى ظهر له قبله، فلا يكون في حاجة إلى الموعظة، وبعض الناس يكون عنده بعض التوقف وبعض الجفاء، فيحتاج إلى الموعظة الحسنة. قال الله -عز وجل-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥).

الحق بالأدلة

فالداعي إلى الله يعظ ويذكر بالله متى احتاج إلى ذلك مع الجهال والغافلين، ومع المتساهلين حتى يقتنعوا ويلتزموا بالحق، وقد يكون المدعو عنده بعض الشبهات، فيجادل في ذلك، ويريد



الداعي إلى الله -عز وجل- عليه أن يتحرى الحق، ويرفق بالمدعو، ويجتهد في الإخلاص لله

المنكر الذي لا يستطيع أن يزيله غيرك، يتعين عليك إنكاره ما دمت أنت الذي علمته

كشف الشبهة، فالداعي إلى الله يوضح الحق بأدلته، ويجادله بالتي هي أحسن؛ لإزاحة الشبهة بالأدلة الشرعية.

اللين والرفق

ويحتاج في ذلك إلى أسلوب حسن ورفق، لا بعنف وشدة؛ حتى لا ينفر المدعو من الحق، ويصر على الباطل، قال الله -عز وجل-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وقال الله لما بعث موسى وهارون إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه:٤٤) . ويقول الرسول -ﷺ- في الحديث الصحيح: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» ويقول -ﷺ-: «من يحرم الرفق، يحرم الخير كله».

الإعراض والقسوة

فالداعي إلى الله -عز وجل- عليه أن يتحرى الحق، ويرفق بالمدعو، ويجتهد في الإخلاص لله، وعلاج الأمور بالطريقة التي حددها الله -عز وجل- وهي الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وأن يكون في هذا كله على علم وبصيرة حتى يقنع الطالب للحق، وحتى يزيح الشبهة لمن عنده شبهة، وحتى يلين القلوب لمن عنده جفاء وإعراض وقسوة؛ فإن القلوب تلين بالدعوة إلى الله، والموعظة الحسنة وبيان ما عند الله من الخير لمن قبل الحق، وما عليه من الخطر، إذا رد الدعوة التي جاءت بالحق، إلى غير هذا من وجوه الموعظة.

صفات الدعاة

وأما أصحاب الحسبة وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فعليهم أن يلتزموا الآداب الشرعية، ويخلصوا لله في عملهم، ويتخلقوا بما يتخلق به الدعاة إلى الله؛ من حيث الرفق وعدم العنف، إلا إذا دعت الحاجة إلى غير ذلك من الظلمة والمكابرين والمعاندين، فحينئذ تستعمل معهم القوة الرادعة؛ لقول الله -سبحانه-: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت:٤٦)، وقوله -ﷺ-: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، خرجه مسلم في صحيحه.

ينكر المنكر بالرفق

أما غيرهم فيعامل في إنكار المنكر والدعوة إلى المعروف بمثل ما يفعل الداعي: ينكر المنكر بالرفق والحكمة، ويقيم الحجة على ذلك؛ حتى يلتزم صاحب المنكر بالحق، وينتهي عما هو عليه من الباطل، وذلك بحسب الاستطاعة، كما قال الله -سبحانه-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦)، وكما قال الرسول -ﷺ- في الحديث السابق: «من رأى منكم منكرا...» الحديث. ومن الآيات الجامعة في ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة:٧١) وقوله -تعالى-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

لا يَتَنَاهَوْنَ

وقد توعد الله -سبحانه- من ترك ذلك، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم؛ حيث قال في كتابه الكريم في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:٧٨-٧٩).

المسؤولية كبيرة

فالأمر عظيم والمسؤولية كبيرة، فيجب على أهل الإيمان وأهل القدرة من الولاة والعلماء وغيرهم من أعيان المسلمين الذين عندهم قدرة وعلم أن ينكروا المنكر ويأمروا بالمعروف، وليس هذا لطائفة معينة، وإن كانت الطائفة المعينة عليها واجبها الخاص والعبء الأكبر، لكن لا يلزم من ذلك سقوطه عن غيرها، بل يجب على غيرها مساعدتها، وأن يكونوا معها في إنكار المنكر والأمر بالمعروف؛ حتى يكثر الخير ويقل الشر، ولا سيما إذا كانت الطائفة المعينة لم تقم بالمطلوب، ولم يحصل بها المقصود، بل الأمر أوسع والشر أكثر، فإن مساعدتها من القادرين واجبة بكل حال.

فرض كفاية

أما لو قامت بالمطلوب وحصل بها الكفاية فإنه يسقط بها الوجوب عن غيرها في ذلك المكان المعين أو البلد المعين؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فإذا حصل بالمعينين أو المتطوعين المطلوب من إزالة المنكر والأمر بالمعروف صار في حق الباقين سنة، أما المنكر الذي لا يستطيع أن يزيله غيرك؛ لأنك الموجود في القرية أو القبيلة أو الحي، وليس فيها من يأمر بالمعروف، فإنه يتعين عليك إنكار المنكر والأمر بالمعروف ما دمت أنت الذي علمته، وأنت الذي تستطيع إنكاره، فإنه يلزمك، ومتى وجد معك غيرك صار فرض كفاية، من قام به منكما حصل به المقصود، فإن تركتماه جميعا أثمتما جميعا.

والخلاصة، أنه فرض على الجميع، فرض كفاية، فمتى قام به من المجتمع أو القبيلة من يحصل به المقصود سقط عن الباقين. وهكذا الدعوة إلى الله متى تركها الجميع أثموا، ومتى قام بها من يكفي دعوة وتوجيها وإنكارا للمنكر صارت في حق الباقين سنة عظيمة؛ لأنه اشتراك في الخير وتعاون على البر والتقوى.

من (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: ٤/ ٢٢٦) بتصرف.

الأحكام الفقهية من قصة شعيب -عليه السلام

أ.د. وليد خالد الربيع

قال -تعالى-: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف:٨٥).

ذكر الله -تعالى- في سورة الأعراف أنباء كثير من الأنبياء والمرسلين، لما في قصصهم من المواعظ والفوائد والأحكام الفقهية، ومنهم شعيب -عليه السلام-، حيث دعا قومه إلى أداء حق الله -تعالى- وحقوق العباد، فحق الله -سبحانه- أن يفرد بالعبادة ولا يشرك به شيء، وأن يطاع فلا يعصى -سبحانه-، وأمام حقوق العباد فأمرهم شعيب -عليه السلام- بالعدل في المعاملات بتوفية الكيل والميزان، ونهاهم عن البخس والفساد.

ويوضح الراغب الأصفهاني معنى البخس فيقول: «البَخْسُ: نقص الشيء على سبيل الظلم».

وقال القرطبي: «البخس: النقص، وهو يكون في السلعة بالتعييب والتزهيد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه. وكل ذلك من أكل المال بالباطل، وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسل».

البخس من جهة المشتري

والبخس قد يكون من جهة المشتري بأن يقلل من قيمة ما يريد شراءه ليحظى بثمن أقل من قيمته الحقيقية كما قال ابن عاشور: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْبَخْسُ مُتَعَلِّقًا بِالْكَمِّيَّةِ كَمَا يَقُولُ الْمُشْتَرِي: هَذَا النِّحْيُ لَا يَزِنُ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ أَرْطَالٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَهُ يَزِنُ اثْنَيْ عَشَرَ رِطْلًا، أَوْ يَقُولُ: لَيْسَ عَلَى هَذَا النَّخْلِ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ قَنَاطِيرَ تَمْرًا فِي حِينِ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَبْلُغُ عِشْرِينَ قِنْطَارًا.

وَقَدْ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِالصِّفَةِ كَمَا يَقُولُ: هَذَا الْبَعِيرُ شَرُودٌ وَهُوَ مِنَ الرَّوَاحِلِ، وَيَكُونُ طَرِيقُ الْبَخْسِ قَوْلًا، كَمَا مَثَّلْنَا، وَفِعْلًا كَمَا يَكُونُ مِنْ بَذْلِ ثَمَنٍ رَخِيصٍ فِي شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُبَاعَ غَالِيًا، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْبَخْسِ أَنْ يَنْتَفِعَ الْبَاخِسُ الرَّاغِبُ فِي السِّلْعَةِ الْمَبْخُوسَةِ بِأَنْ يَصْرِفَ النَّاسَ عَنِ الرَّغْبَةِ فِيهَا فَتَبْقَى كَلًّا عَلَى جَالِبِهَا فَيَضْطَرُّ إِلَى

الغبن اليسير -وهو الذي يتسامح الناس بمثله- فهو جائز؛ لأنه لا يمكن التحرز منه وهو مما تعارف الناس على التعامل به دون نكير

بَيْعِهَا بِثَمَنٍ زَهِيدٍ، وَقَدْ يُقْصَدُ مِنْهُ إِلْقَاءُ الشَّكِّ فِي نَفْسِ جَالِبِ السِّلْعَةِ بِأَنَّ سِلْعَتَهُ هِيَ دُونَ مَا هُوَ رَائِجٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَدْخُلُهُ الْيَأْسُ مِنْ فَوَائِدِ نِتَاجِهِ فَتَكْسَلُ الْهِمَمُ».

والبخس قد يكون من البائع وهو ما يسميه الفقهاء الغبن، وهو: بيع السلعة بأكثر مما تعارف الناس على التسامح بمثله.

حكم الغبن

وأما حكم الغبن:

فقد قسم الفقهاء الغبن إلى نوعين: يسير وفاحش، ويرجع في تعيين الحد الفارق بينهما إلى العرف أو لأهل الخبرة، لأن ما لم يرد له تقدير في الشرع يرجع فيه إلى العرف.

وأما حكم الغبن: فالغبن الفاحش الكثير وهو الذي لا يتسامح بمثله فحكمه التحريم لما فيه من التغرير بالمشتري والغش المنهي عنه، وقد قال -ﷺ-: «من غشنا فليس منا» أخرجه مسلم.

الغبن اليسير

وأما الغبن اليسير وهو الذي يتسامح الناس بمثله فهو جائز، لأنه لا يمكن التحرز منه وهو مما تعارف الناس على التعامل به دون نكير، قال القاضي ابن العربي: «إن الغبن في الدنيا ممنوع بإجماع في حكم الدين، إذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة، لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز منه لأحد فمضى في البيوع، إذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع أبدا، لأنه لا يخلو منه، والفرق بين القليل والكثير أصل في الشريعة معلوم».

وأما تأثير الغبن في صحة العقد، فالحكم يختلف بحسب نوع الغبن ومن وقع الغبن عليه:

فقد ذهب عامة الفقهاء إلى أن الغبن اليسير لا تأثير له في صحة العقود، وقد تقدم كلام القاضي ابن العربي في عدم تأثير الغبن اليسير في صحة العقد، وقال ابن هبيرة: «اتفقوا على أن الغبن في البيع بما لا يفحش لا يؤثر في صحته».

الغبن الكثير

أما الغبن الكثير في حق البائع بأن يبيع الشخص ماله بنقص كبير مع علمه ورضاه فهو جائز، لأن ثبوت الملك له على وجه مشروع يعطيه الحق في التصرف بماله استهلاكا واستعمالا واستغلالا في حدود المشروع، فله أن يبيع الشيء الغالي بالثمن البخس كما له أن يهبه بغير عوض ما دام أهلا للتصرفات المالية وهو عالم وراض بهذا البيع.

قال القرطبي: «والجمهور على جواز الغبن في التجارة، مثل أن يبيع رجل ياقوتة بدرهم وهي تساوي مائة فذلك جائز، وأن المالك الصحيح الملك جائز له أن يبيع ماله الكثير بالتافه اليسير، وهذا ما لا اختلاف فيه بين العلماء إذا عرف قدر ذلك، كما تجوز الهبة لو وهب».

ومما استدل به قوله -عليه السلام- في حديث الأمة الزانية: «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، ولَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، ولَا يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَبِعْهَا ولو بحَبْلٍ مِن شَعَرٍ». متفق عليه

قال النووي: «فيه جواز بيع الشيء النفيس بثمن حقير، وهذا مجمع عليه إذا كان البائع عالما به».

الأظهر أن الغبن إذا صاحبه تغرير فللمغبون إذا علم بذلك الخيار بين إمضاء العقد أو فسخه

حق الله -سبحانه- أن يفرد بالعبادة ولا يشرك به شيء، وأن يطاع فلا يعصى

أما الغبن الكثير إذا وقع على المشتري بأن اشترى شيئا بثمن يفوق قيمته الحقيقية بفارق كبير لا يتسامح بمثله عادة، فقد اختلف الفقهاء في تأثير الغبن الفاحش في صحة العقد، والأظهر أن الغبن إذا صاحبه تغرير فللمغبون إذا علم بذلك الخيار بين إمضاء العقد أو فسخه، وكذلك إذا لم يصحب الغبن تغرير، لأن الحق له ولا يجبر الشخص على فسخ العقد خاصة إذا لم يقع خلل في الأركان والشروط الشرعية، وإنما الخلل قد وقع من جهة اختلال رضا المشتري، حيث غبن بالثمن، والأدلة الشرعية تدل على اشتراط الرضا في صحة التصرفات كقوله -تعالى-: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (سورة النساء:٢٩) وقال -عليه السلام-: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه» أخرجه أحمد، والمغبون لا يرضى بالغبن إذا علم به ولا تطيب نفسه به، مما يدل على عدم صحة هذا التصرف وثبوت الخيار للمغبون.

وأيضا لأن الغبن إضرار بالمغبون والضرر مرفوع في الشريعة لقوله -ﷺ-: «لا ضرر ولا ضرار» أخرجه ابن ماجه، مما يؤكد أن الغبن مؤثر في صحة العقود ويثبت الخيار للمغبون لمنحه فرصة لرفع الضرر إن أراد ذلك.



الوسطية الإسلامية

الشيخ أحمد المرابط بن الشيخ أحمد
مفتي عام جمهورية موريتانيا

(٢)

ما زال الحديث موصولا عن مفهوم الوسطية في الإسلام، وقد ذكرنا أن الله -سبحانه- جعل شريعته وسطية ناكبة عن طرفي الإفراط والتفريط، وذكرنا نماذج عدة لهذه الوسطية، منها: الوسطية في العقيدة، والوسطية في العبادة، والوسطية في الحكم على العصاة، والوسطية في التعامل مع ولاة أمور المسلمين، واليوم نكمل ما بدأناه.

النقطة الخامسة

الوسطية في تعامل المسلمين مع بعضهم

الوسطية الإسلامية في تعامل المسلمين فيما بينهم، تتمثل في تعاونهم على البر والتقوى؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة)، قال ابن كثير في تفسيره: يأمر -تعالى- عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم، قال ابن جرير: الإثم: ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان: مجاوزة ما حد الله في دينكم، ومجاوزة ما فرض عليكم في أنفسكم وفي غيركم.

وقد روى الإمام أحمد قال: «حدثنا هشيم، حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس، عن جده أنس بن مالك قال: قال رسول الله: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوما، فكيف أنصره إذا كان ظالما؟ قال: تحجزه تمنعه ؛ فإن ذلك نصره»، انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه، وأخرجاه من طريق ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوما، فكيف أنصره ظالما؟ قال: تمنعه من الظلم، فذاك نصرك إياه.

موالاة بعضهم لبعض

وتتمثل الوسطية أيضا: في موالاة بعضهم لبعض ؛ عملا بقوله -تعالى-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١)، وفي كونهم على المثل الذي ضربه النبي -ﷺ-؛ حيث قال فيما رواه الشيخان - واللفظ لمسلم من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه-: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»، وروى الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري -رضي عنه- مرفوعا: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه»، وفي كونهم معتصمين بحبل الله مجتمعين غير متفرقين، متآلفين غير متنافرين، لقوله -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران)، قال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران) ؛ قيل: بحبل الله، أي: بعهد الله كما في حديث علي -رضي الله عنه- مرفوعا في صفة القرآن: «هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم».

الوسطية الإسلامية في تعامل المسلمين فيما بينهم تتمثل في تعاونهم على البر والتقوى

وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا به شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّى اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ.

النقطة السادسة: الوسطية الإسلامية في تعامل المسلمين مع غيرهم

وتتمثل في التفرقة في المعاملة بين المسالمين منهم وغير المسالمين؛ الذين احتلوا بلاد المسلمين

وانتهكوا المحرمات المقدسة، وقتلوا وشردوا واضطهدوا، فهم حرب على الإسلام والمسلمين، أما المسلمون فالوسطية الإسلامية لا تمنع مجاملتهم ومعاملتهم في القواسم الإنسانية المشتركة ؛ لقوله -تعالى-: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، بل الوسطية الإسلامية تفرض الاجتهاد في الحصول على المنافع التي عندهم مع كامل التحفظ من موارد الخلاف الديني ؛ لأن إهمال منافعهم عجز وتواكل منهي عنهما، بقوله -تعالى-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وبما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان، رواه مسلم.

وتفرض الوسطية الإسلامية: مراعاة عهد وذمة المعاهدين والذميين، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا».

الوسطية في التعامل مع نصوص الوحي تعني فهم النصوص وفق منهج أصحاب القرون السابقة إلى الإسلام

النقطة السابعة: الوسطية الإسلامية في التعامل مع نصوص الوحي

وتتمثل الوسطية الإسلامية في التعامل مع نصوص الوحي في فهم النصوص وإفهامها وتطبيقها وفق منهج أصحاب القرون السابقة إلى الإسلام، وفي مراعاة فقه الموازنات في باب الضرورات والحاجات، ومراعاة فقه المتغيرات والمستجدات في باب تغير الواقع، وفي مراعاة اختلاف المجتهدين فيما فيه مجال للاجتهاد، وفي تمييز الخطأ من الصواب بالأدلة، مع مراعاة لوازم الأخوة الإسلامية المذكورة في قوله: «المسلم أخو المسلم ؛ لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»، وفي نفي الوسطيين عن نصوص الوحي تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، لقوله فيما رواه البزار في مسنده، وعبد الحق الإشبيلي في الأحكام الشرعية الكبرى، والطحاوي في شرح مشكل الآثار من حديث أبي. هريرة وعبد الله بن عمرو -رضي الله عنهم-: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين».

ترفقوا بأحبابكم

م. سامح بسيوني

فَقدُ الأحبة سنة كونية، قد نتناساها جميعا؛ بسبب طغيان الحياة اليومية، أو بسبب روتينية اللقاءات وتكرارها. وأكبر ألم يمكن أن يعتصر قلب الإنسان أن يستشعر مدي تقصيره مع أحبابه بعد فقدهم، أو مدى تعنته في بعض الأمور التي كان يسعه فيها التغافل عنها حفاظا على الود بينه وبين إخوانه وأحبابه.

لذلك فمن الأهمية بمكان أن تتسع صدورنا لبعضنا بعضا دائما في النقاش، وأن يترك كل واحد منا فرصة لنفسه في تفهم وجهة نظر الآخر، كما أنه يجب أن يكون لكل واحد منا رصيد كبير عند أخيه من الأفعال التى تدل على المحبة، من تخير للكلمات الطيبة في النقاشات، ومن التعاهد والسؤال على الأحوال، ومن إحسان الظن وقبول العذر، ومن التهادي والمشي في حاجات بعضنا بعضا ...الخ.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال للرجل الذي أخبره أنه يحب اخاه: قم فأخبره، وقال أيضا: «تهادوا تحابوا»، في إشارة واضحة لأهمية ترجمة المشاعر القلبية الخفية في صورة أعمال وأفعال ظاهرة. فالمحافظة علي قلوب بعضنا بعضا وعلى رباط المحبة قويا يخفف عنا كدر الدنيا، ويعطينا ذلك الوقود اللازم للاستمرار في حمل مشاعل الهداية، وتبليغ الرسالة في خضم كل هذه العوائق والتحديات والعقبات، كما أنه يخفف أيضا من ذلك الألم الذي ينتاب أحدنا حينما يختطف الموت منه أخيه.

لذا أدعو نفسي وإخواني بألا ينسى أحدنا أن يخص إخوانه الذين يحبهم في الله في دعائه وقيامه بالاسم، سواء من كان منهم حيا أم من رحل عنا. فرب أخ مجتهد قائم يغفر الله بدعائه لأخيه المعذور النائم أو أخيه الميت الراحل.

- قالَ كعبُ الأحبار: «رُبّ قائم مَشكورٌ لَهُ، وَنائم مَغفورٌ لَهُ، وذلكَ أنّ الرّجُلَين يَتَحابّان في الله، فَقَامَ أحَدُهُما يُصَلّيَ فَرَضيَ اللهُ صَلاتَهُ وَدُعاءَه، فَلَم يَرُدّ عليه من دُعائه شيئًا، فَذَكَرَ أخاهُ في دُعائه مِنَ الليل، فَقَال: يا ربُّ، أخي فُلان اغفر لَهُ؛ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ وَهُوَ نائم!.

فيا أُخي، ينام أحدنا باكياً يائساً منقبض القلب، فيستيقظ منشرح الصدر قرير العين لا يدري ما السبب !

ويموت أحدنا فيتسع عليه قبره، أو ترفع درجته وهو لا يدري ما السبب! إنها دعوةٌ بظهر الغيب صعدت باسمه في قيام أخ محب أو ابن صالح. فاللهم اجعل لنا صُحبةً وأخوة نعلو بها، وتشد أزرَنا بدعواتٍ قبلتها.

- فليدع بعضنا لبعض؛ فلا ندري من أي منا يُتقبل؟
- وليترفق بعضنا ببعض؛ فلا ندري من منا يقبض قبل الأخر؟
- وليخص كلُ أخٍ أخاه - ولا سيما من سعي الشيطان في التحريش بينهما - بالدعاء بظهر الغيب؛ فإن ذلك مما يرغم الشيطان، ويديم المحبة والألفة، فما فُرق بين متحابين إلا بذنب أحدثه أحدهما، والدعاء من أعظم الحسنات التي تمحو الذنوب والسيئات.

فالأخوة الإيمانية والحُب في اللهِ من أعظم نعيم الدنيا الذي تهون بسببه المشاق؛ فهي اجتماع لطاعة الرب في رفق ولين واحتواء، وليست اجتماعا لدنيا بانتصار نفسٍ أو قسوة قولٍ أو تنازع على مكان.

الهجومُ على السّلفية وسبُل الوقاية منه

د. محمد بن إبراهيم السعيدي

قبل أن ندلف في موضوع أسباب الهجوم على السلفيّة، أو مظاهر هذا الهجوم، يحسن بنا أن نبدأ بالحديث عن: ما السلفية التي نعنيها؟ وما السلفية التي يُهجم عليها؟ لأننا إذا تأملنا التعريف للسلفية فإننا حتمًا سوف نصل إلى نتائج مفيدة جدًّا، تختصر علينا موضوع المحاضرة.

ما السلفية؟

السّلفية اسمٌ مُحدَث، ربّما لم يكن في القرون الثلاثة الأول، وهو ليس بديلاً عن الإسلام، يعني حينما نقول: إنّنا سلفيون، لا يعني أنّنا نتنازل عن لقب الإسلام كما يحلو لبعض الناس أن يشوّه السلفيّة بهذا الشكل! ودائمًا حينما أكتب عن السلفية أو حولها أجد من يردُّ ويقول: ما هذه الأسماء؟ وما هذه التسميات؟ ألا يكفينا مصطلح الإسلام؛ إذ إنّ إبراهيم -عليه السّلام- سمّانا المسلمين؟ وكيف نتّخذ بدلًا عن الاسم الذي اختاره لنا سيّد الأنبياء؟

هذا الكلام يأتي كثيرًا حينما يتكلّم أحدهم عن السلفية، لكنّه لا يأتي حينما يقول أحدهم: إنّني صوفي، أو يقول أحدهم: إنّني أشعري، أو معتزلي، أو غيرها من الفرق، كل ذلك لا يأتي! وإنّما يأتي هذا حينما تتحدث عن السلفية؛ لأن هذا أحد مظاهر الهجوم على السلفية، وهي: محاولةُ إظهار السلفية وكأنّها دينٌ جديد لا يمتّ للإسلام بصلة، وهذا الكلام ليس مبالغةً، فقد اطّلعت قبل أيام على كتابٍ -مع الأسف نُشر أو بيع في معرض الكتاب الدولي في القاهرة- مكوّن من حوالي ٨٠٠ صفحة، واسمه: (السلفيّة دينٌ سعودي جديد) هكذا!

إخراج السلفية من الإسلام

إذًا ! فالقضية هي: إخراج السلفية من الإسلام، رغم أنّهم يتّهمون السلفية بأنّها تُخرج النّاس من الإسلام، بينما في حقيقة الأمر هم يفعلون ذلك بصراحة ووضوح ودون أسبابٍ شرعيّةٍ علميةٍ تخوّل لهم أو تتيح لهم هذا الأمر.

فأقول: إنّ السلفية ليست بديلة عن لفظ الإسلام، ولكنّنا في الواقع أصبحنا محتاجين لها، فما وجه الحاجة-أيها الإخوة- لأن نتسمى بالسلفيين؟ أو نسمِّي منهجنا بالسلفيّة؟

لقب أهل السنة

الحاجة هي الحاجة ذاتها التي جعلتِ التّابعين -وهم الجيل الذي بعد الصحابة رضي الله عنهم- يستحدثون لقب السُّنة، ففي عهد الرسول -ﷺ- وعهد صحابته -رضي الله عنهم- لم يكن هناك اسمٌ سوى الإسلام، ولكن ظهرت البدع؛ ظهرت القدريّة ثمّ الخوارج وغيرها من الفرق، وكلُّ هؤلاء يتسمون بالإسلام، فلم يعد لأهل الحق إلا أن يصفوا أنفسهم بوصفٍ يميّزُهم فيقولون: فلانٌ صاحبُ سنّة، أي ملتزم بالاتباع، ملتزمٌ بما تركهم عليه الرسول -ﷺ-، آخذين ذلك من قول الرسول -ﷺ-: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فجعلوا هذا الاتباع صفة لمن ليس أزرقيًا أو حروريًا أو صفريًا، أو قدريًا، أو معتزليًا؛ فصاروا يقولون صاحب سنة.

ثمّ ظهرت جماعاتٌ تدعو إلى الفرقة بين المسلمين، وإلى رفع السّيف، وأنّ السيف من الدين، وهم: الخوارج والمعتزلة، فوجدوا أنّهم محتاجون أيضًا إلى إضافة لقبٍ آخر يميّز أهل السُّنة ممّن ينتحلون أو يدّعون أنّهم من أهل السنة وهم يخالفون السُّنة في قضية الجماعة، فاستحدثوا لقب (الجماعة)، فأصبح يقال: أهل السُّنة والجماعة.

الفرقة داخل أهل السُّنة

ثمّ بدأت الفرقة داخل أهل السُّنة، فظهر فيهم المتصوّف الذي يدّعي أنّه سنّي بل ظهر فيهم الغلاة، وهم أبعد الناس عن الإسلام أصلًا ومع ذلك يتسمون بالسُّنة، ويقولون نحن أهل السنة، وظهر الأشاعرة الذين عندهم ابتداعٌ في قضية القضاء والقدر، وعندهم ابتداعٌ في قضيّة صفات الباري -عزّ وجل-، فهؤلاء أيضًا يتسمون بالسُّنة، وكثرت المذاهب المبتدعة التي تتلقّب بالسُّنة، فبقي أن يميز أولئك الذين بقوا على ما ترك الرسول -ﷺ- الناس عليه أنفسهم بلقب، فهم أتباعُ

استطاع النبي -ﷺ- أن يؤسس في ثمانين عامًا ما لم يصل إليه الرّومان في ثمانمائة سنة

الهجوم على السلفيّة سببُه أنّ السلفية سوف تُعيد النّاس إلى الإسلام الصّحيح

السّلف الصالح في اتباعهم للنّبي -ﷺ-، فنسبوا أنفسهم إلى السّلف الصالح؛ فكانوا سلفيين.

من هذا العرض نحاول أن نستنتج تعريفًا للسلفيّة، السلفيون هم الذين يتبعون السّلف الصّالح، من قول الرسول -ﷺ-: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

الذين يتبعون السلف الصّالح، يتبعونهم في فهمهم لكتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله -ﷺ-. السلف الصالح -رضي الله عنهم- لهم خاصيّة في فهم كتاب الله، وفي فهم سنة رسوله -ﷺ-، ما تلك الخاصية؟

هي أنّهم يفهمونهما على وفق أفهام العرب، يعني كما كانت العرب تفهم القرآن هم يفهمون القرآن، وكما كانت العرب تفهم السُّنة هم يفهمون السنة؛ ولهذا قال الشافعي -رحمه الله- في كتاب الرسالة: إن الشريعة جاءت على وفق أفهام العرب، وأخذه عنه الشاطبي في الموافقات، وفصل في هذا المعنى.

المذاهب التي خرجت عن منهج السلف

فحينما تأتي إلى كلِّ المذاهب التي خرجت عن منهج السلف تجد أنّ سرّ خروجهم أنّهم لا يفهمون التنزيل على وفق أفهام العرب، كالأشاعرة مثلًا، فحينما يقول الله -عز وجل-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) لا يوجد في قواميس اللغة العربية أنّ استوى بمعنى استولى، وحينما يقول الرسول -ﷺ-: «إن لله حجابًا من نور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، هذا الحديث في لغة العرب يُفهم أنّ لله -سبحانه وتعالى- وجهًا، وأن لله بصرًا، لا يوجد عربيٌّ تعطيه هذا الكلام إلا ويفهمه بهذه الطريقة، فهؤلاء جاءت بدعتهم من أنّهم يريدون أن يفهموا هذا الكلام على غير وفق أفهام العرب؛ فيجعلونه مجازًا ويتكلّفون في تأويله، وفي فهم هذا المجاز.

حينما نأتي عند القبوريين مثلًا، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) ماذا يفهم العرب من هذا اللفظ؟ يفهمون منه أنّ الدُّعاء لا يكون إلا لله، وتؤيد هذا آيات أخر، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨) ما معنى تدعوا؟ أي: تسألوا. يقول الشاعر:

فقلت ادعي وأدعو إن أندى

لصوت أن ينادي داعيانِ

يعني ماذا يقصد؟ اسألي وأسأل، هذا الدُّعاء الذي يفهمه العرب، فحينما تقول لأهل البدع: إنّ الله -عز وجل- يقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨) يقولون: لا، تدعوا يعني تعبدوا، لكن نقول: العرب لم يكونوا يفهمون هذا بهذه الطريقة، راجعوا القواميس، فحينما نستعرض البدع تجد سببها أنّها خارجة فيما ابتدعته عن أفهام العرب.

هل لديكم أمثلة أخرى تؤكد قضية أنّ الابتداع أصله: الخروج عن أفهام العرب في تلقي الكتاب والسنة وفهمهما؟

الخوارج مثلاً في التّكفير بالكبيرة، تأتيهم وتقول، يقول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨) ما الذي دون ذلك؟ كل الذنوب، هذا فهمُ العرب، بينما الخوارج يأتون بفهم آخر بأنّ كل فاعلي الذنوب في النار، وكلهم مخلدون في النّار، وهذا خارج عن فهم العرب.

منهج السّلف

منهج السّلف هو فهم الكتاب والسنة وتلقّيهما على وفق أفهام العرب؛ ولهذا فإن الله -عز وجل- نصّ على أنّ القرآن عربي في أكثر من تسعة مواضع في كتاب الله -عز وجل- بصيغ مختلفة، ما الحكمة في أنّ الله ينصُّ على أن القرآن عربي؟ لو أنّ أحدًا منّا كتب كتابًا باللغة العربية، هل سيقول في بدايته أو في منتصفه: كتبتُ هذا الكتاب باللغة العربية؟ لا، بل هذا يُعد عبثًا، لكن الله -عز وجل- قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٥)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم: ٤)، لماذا كل هذه الآيات؟ لكي يحقّق قضيّة أنّ اللغة ليست ألفاظًا وحسب، وإنّما اللغة ألفاظ ومعانٍ، بل اللغة كما يقول علماء اللغويات: اللغة وعاءٌ للمعنى، ووعاء للفكر، فهكذا القرآن يقرّر هذه الحقيقة.

ما دخل كلامنا هذا بموضوع المحاضرة التي نتحدث فيها عن الهجوم على السلفية؟

من هذا التّعريف أعتقد أنّ الجميع وصل إلى نتيجة، وهي أنّ الهجوم على السلفيّة سببُه أنّ السلفية سوف تُعيد النّاس إلى الإسلام الصّحيح، ذلك الإسلام الذي في أقل من ثمانين سنة أصبحت جيوش المسلمين (جزءٌ منها في الصين، وجزء منها عند سهل بواتيه في جنوب باريس)، ولم يفتح الإسلام هذه المنطقة العريضة في ثمانين سنة بالسّيف كما يقال، بل افتتحها باليُسر والسهولة والإقناع؛ فالإسلام غض؛ لهذا جورج بوش الجد -جد جورج بوش الذي كان رئيساً لأمريكا- له كتاب اسمه: (محمّد مؤسس امبراطورية المسلمين)، وهو موجود ومترجم باللغة العربية، هل اطّلع أحدٌ منكم عليه؟ وله كتابٌ يهمكم بالنسبة للقضية الفلسطينية، واسمه: (إحياء رميم إسرائيل)، هذا الرجل توفي سنة ١٨٥٨م يعني قبل نشوء الحركة الصهيونية اليهودية؛ حتى نعلم أن الصهيونية أنشأها المسيحيون قبل اليهود، فهو قبل ١٨٥٨م ألف هذا الكتاب الذي اسمه: (إحياء رميم إسرائيل)، شاهدُنا هنا في قضيّة كتابه: (محمّد مؤسس إمبراطورية المسلمين)، يقول: إن محمّدًا -ويقصد الإسلام- استطاع أن يؤسس في ثمانين عامًا ما لم يصل إليه الرّومان في ثمانمائة سنة. وكان -والعياذ بالله- يسمي النبي -ﷺ- إنسان الخطيئة! فهذا الخطر المتوجس من انتصار الإسلام، وعودة الإسلام بهذا النهج السريع، هو أحد أسباب الهجوم على السلفية.

الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين العصمة والكمال ودرء الشبهة عنه

الشيخ: محمد محمود محمد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

يحاول ضعاف النفوس من غير المهتدين التشكيك في نزاهة الجناب الشريف لنبينا -صلى الله عليه وسلم-، وذلك بإثارة الشبهات حول جوانب من حياته الشخصية، ولا سيما ما يتعلق منها بعلاقته بالنساء، وتعدد زيجاته، ومسألة المرأة التي وهبت نفسها للنبي، -صلى الله عليه وسلم-، وهيهات هيهات أن ينالوا من جنابه، لكننا مع ذلك نتقرب إلى الله -تعالى- في هذه المقالة والتي بعدها بتوضيح بعض الحقائق، لا للدفاع عنه فهو غني بالله عنا، ولكن لإزالة الغشاوة إن شاء الله -تعالى- عن بعض البصائر.

شخصيته الشريفة بين العصمة والكمال

إن الوقائع التي تصف لنا علاقته -صلى الله عليه وسلم- بالنساء قبل النبوة وبعدها تنبئ عن شخصية، محفوفة بالبراءة، لا تظهر عليها أمارات الشغف بالأنثى من حيث هي أنثى، بقدر ما هي علاقة محفوفة بالعطف والاحترام، وإن قلة ذلك الشغف قد تعد في بعض الحالات عند غيره -صلى الله عليه وسلم- من مخلات الفحولة ونواقص الذكورة، وإن ذلك أمر في النظر الأوّليّ لا يليق بنبي متصف بالكمال البشري، لولا أن مرد قلة شغفه -صلى الله عليه وسلم- لم يرجع إلى نقص في الطبع، ولكن إلى كمال وقاره، ودوام حفظ الله له، يتضح ذلك من عدم ولعه بالنساء في سن الشباب، الذي هو سن فوران الرغبة عند الرجال عادة، ثم إنه يستمر على ذلك حتى وفاة أم المؤمنين خديجة، التي ظلت في عصمته، زمنا طويلا وسع شبابه كله، ولقد كانت تكبره بخمسة عشر عاماً، ومع ذلك لم يلتفت إلى غيرها، لقد كان ذلك دليلُ كمالٍ واضح ووفاءٍ كامل وعصمةٍ تامة لا ريب فيها، لكنَّ الأمر لم يكن كذلك عند السطحيين ممن طالعوا سيرته لغرض الطعن والتشويه، فإذا بوقائع حياته الشريفة في علاقته بالنساء، تثير عند أعدائه الحقد والشبهات، وإن الصواب لمن طلب الحق في شأن شيء ما، أن يلم به من كل جوانبه، وألا يُصدر فيه قولاً إلا بعد تحقيق شامل ومحايد، يُقَدِّرُ فيه الوقائع بمطابقة ظرفها الذي تمت فيه، لا بتقدير مطابقتها للظرف الذي يعيشه الطاعن.

علاقته بالنساء قبل النبوة وبعدها

لم يكن يَهِمُّ -صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة وهو لا يزال في شبابه بما يَهِمُّ به غيره من أمر النساء، وسبب ذلك أنه كان محفوظاً من الوقوع في شيء يلوث سمعته أو يضر بقلبه من جهة علاقته بالله -تعالى-، ولو كان ذلك الشيء مجرد نظرة إلى امرأة لا تحل له، ودليل ذلك ما جاء عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يَهمُّون به من النساء إلا ليلتين، كلتاهما عصمني الله -عَزَّ وجَلَّ- فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا فقلت لصاحبي: تبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان؟ » فقال علي: قال: «فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا

بالغرابيل والمزامير، فقلت ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة فجلست أنظر، وضرب الله -عَزّ وجَلّ- على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئًا ثم أخبرته». (مسند البزار، رقم: ٦٤٠، وقال السيوطي في مناهل الصفا: صحيح، برقم: ١٦٣، بفلظ أخصر من ذلك، وبذات الألفاظ في جمع الجوامع برقم: ٤/ ٩٣١).

بعد النبوة والرسالة

وأما بعد النبوة والرسالة فقد عُرف عنه -ﷺ- أنه لم يمس يد امرأة قط إلا أن تكون مَحْرَمًا أو زوجاً له، ففي البخاري عن عروة، أن عائشة -رضي الله عنها-، زوج النبي -ﷺ- أخبرته: أن رسول الله -ﷺ- كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ (الممتحنة: ١٢)، قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله -ﷺ-: «قد بايعتك» كلاما، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك». (البخاري، رقم: ٤٨٩١).

عناية الله بنبيه -ﷺ- ورعايته له

إن مثل ذلك من الأخبار ليدل على المقصود دلالة لا تحتاج إلى تعليق أو شرح أو توضيح، فلربما كان في شرح شيء من ذلك قصور عن بلوغ مدى عناية الله بنبيه ورعايته وحفظه له من الوقوع فيما يخدش الحياء، أو يقلل من نصيبه في الوقار والحشمة، وإن تلك الحشمة السابغة، لم تكن من ذاته الشريفة لعزوف بها عما يطلبه غيره من الرجال من أمر النساء، لكن لأن ولوجه ذلك المحل دونه باب عليه حارس من الله -تعالى-، وذلك لكمال وتمام تهيئة الله له -ﷺ- لحمل عبء الرسالة وما يقتضيه من فراغ القلب عن الشواغل، وطهارة ذاته عن جميع الصوارف.
وإن أوضح ما يدل على ذلك، ويؤكده، أنه برغم تحفظه الشديد في قضية العلاقة

الصواب لمن طلب الحق أن يلم به من كل جوانبه وألا يُصدر فيه قولاً إلا بعد تحقيق شامل ومحايد

عُرف عن النبي -ﷺ- أنه لم يمس يد امرأة قط إلا أن تكون مَحْرَماً أو زوجاً له

بالمرأة على هذا النحو قبل النبوة وبعدها، أنه كان قد تزوج، وأنجب، بل وتعددت زيجاته، على صورة تعدد الملوك والأنبياء من قبله، لا على صورة تعدد العامة، لإظهار تمام قوته وقدرته، وليتميز بذلك شأنه في مجتمعه ودولته عن شأن غيره، ولأسباب أخرى ستظهر للقارئ بعد ذلك.

خديجة بنت الأربعين -رضي الله عنها

كانت أولى زيجاته -ﷺ- أنه تزوج من أرملة في سن الأربعين، وتعول ثلاث بنات، -رضي الله عنهن-، بينما كان عمره خمساً وعشرين على ما هو مذكور في كتب السيرة، وقد كان -ﷺ- يعمل إذ ذاك بالتجارة، وكانت خديجة -رضي الله عنها- لديها تجارة كبيرة، وكانت امرأة غنية، ذات شرف وجمال في قريش، وإن النبي -ﷺ- «خرج في تجارة لها إلى سوق بُصرَى، فربح ضِعف ما كان غيره يربح، قالت نفيسة أخت يعلى بن أمية: فأرسلتني خديجة إليه دسيساً (خِفْيَةً)، أعرض عليه نكاحها، فقبل وتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، والذي زوجها عمها عمرو؛ لأن أباها كان مات في الجاهلية، وحين تزوجها رسول الله -ﷺ- كانت أَيِّماً (أرملة) بنت أربعين سنة، وكان كل شريف من قريش

النبي -ﷺ- لم يتزوج إلا من خلال الوحي أو لمصلحة دينية أو تشريعية

يتمنى أن يتزوجها، فآثرت أن تتزوج برسول الله -ﷺ- فأصابت بذلك خير الدنيا والآخرة» (عيون الأثر، ص٦٤).
فكتب السيرة تذكر أنها هي التي أرسلت إليه في زواجه منها، وذلك منطقي لا غضاضة فيه، تقديراً منها لحيائه أن يُقْدِمَ على ذلك ولو رغب فيه، لشرفها وغناها؛ فهي بمقاييس العالم المادي أعلى منه كعباً (قبل النبوة)؛ ثم إنك تجدها قد بقيت -رضي الله عنها- زوجة وحيدة له طيلة حياتها التي امتدت من تاريخ زواجه بها وهو ابن خمس وعشرين وحتى شارف الخمسين، ثم إنها ماتت، قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وكان عمرها عند وفاتها خمسة وستين عاماً؛ لقد ظلت طيلة خمسة وعشرين عاماً في عصمته -ﷺ- لم يفكر أن يتزوج عليها!، وهي المرأة المسنة التي تكبره بكل هذا العدد من السنوات، ثم إنه لو كان الذي منعه من ذلك شرفها وغناها، فما الذي جعل جذوة المودة متقدة في قلبه لها مع تزوجه بعدها بتسع غيرها؟!، بل ولا يترك مناسبة تُذكر فيها خديجة وقد ماتت إلا ويؤكد فيها أنها أعظم امرأة عرفها، إن أخلاقاً بهذا الرقي لا تنم عن شخصية مولعة بالنساء مطلقاً، كيف وهو لا يشيد بالعجوز -رضي الله عنها- إلا وعنده أحب النساء إلى قلبه عائشة -رضي الله عنها-، حتى أنها تقول -رضي الله عنها-: «ما غرت على امرأة للنبي -ﷺ-، ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لِمَا كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، (اللؤلؤ المجوف)، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن» (البخاري، رقم: ٣٨١٦).
فإذا كان عهده بخديجة بعد وفاتها على ذلك القدر من الوفاء وحفظ الود، فلابد أنه ما تزوج بعدها بعشر نساء إلا بسبب آخر، لا يرجع إلى الرغبة الشخصية، ولكن إلى الوحي، أو إلى المصلحة الدينية أحياناً، أو التشريع، أو تقدير بعض العابدات في عصره -ﷺ- ورفع مكانتهن.



معالم في مواجهة التحديات المعاصرة

د. ياسر حسين محمود

من سُنَن الله الكونية التي ترتبط بحكمة وجود النوع الإنساني على الأرض: أنّ الحق ينقص في قلب ابن آدم، والباطل يزيد، وكذا في المجتمعات والحضارات؛ وذلك لأن الله -سبحانه- أوْجَد النوع الإنساني في الأرض ليعبده المؤمنون في وسط الفساد وسفك الدماء، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠)، قال ابن كثير -رحمه الله-: «أَيْ: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ فِي خَلْقِ هَذَا الصِّنْفِ عَلَى الْمَفَاسِدِ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ؛ فَإِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ، وَأُرْسِلُ فِيهِمُ الرُّسُلَ، وَيُوجَدُ فِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ وَالْعُبَّادُ، وَالزُّهَّادُ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَالْأَبْرَارُ وَالْمُقَرَّبُونَ، وَالْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ وَالْخَاشِعُونَ، وَالْمُحِبُّونَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُتَّبِعُونَ رُسُلَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ» (تفسير ابن كثير،١/ ٢١٦ - ٢١٧).

حتى يُعبد الله بالمُرَاغمة والمُدافَعة، والمُجَاهَدة والمُقَاوَمة للشر والفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلابد أن يوجد الفساد وسفك الدماء، ولابد أن يُوجَد ذلك بالعدل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف:٤٩)، فقَدّرَ -سبحانه- أن يَفعل المُفسِدون ذلك بإرادتهم وقدرتهم التي خلقها الله لهم؛ ليُقَاوِمهم أهلُ الإيمان، ثم يحاسب -سُبْحَانَهُ- كُلًّا مِن الفريقين بما يَستحقه.

التوحيد والعلم

والإنسان قد خُلِق على التوحيد والعلم؛ فآدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أبو البشر كان نَبِيًّا مكلما، قال -تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة:٣١)، ثم يتحول الإنسان إلى الجهل والظلم بعدل الله، ولا يكون ذلك إلا بنقصان الحق مِن قلوب بني آدم ومجتمعاتهم، ومِن خلال عملهم وجهلهم وإعراضهم عن العلم، واكتفائهم بالهيئة الظاهرة مِن ادعاء حب العلماء، واتِّباع الأنبياء مُدّةً مِن الزمن، يبدأ الحق فيها بالضعف؛ بسبب البدعة والظلم والعدوان حتى يضمحل، ويزداد الجهل ويُنسخ العلم حتى يُعبد غير الله.

روى البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ؛ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، وهِيَ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ؛ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «هَذِهِ أَصْنَامٌ كَانَتْ تُعْبَدُ فِي زَمَانِ نُوحٍ»، وروى ابن جرير عن محمد بن قيس في «وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» قال: «كانوا قومًا صالحين مِن بنى آدم، وكان لهم أتباع يَقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يَقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم؛ فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر؛ فعَبَدوهم» (تفسير الطبري، ٢٣/ ٦٣٩).

وروى ابن أبي حاتم عَنْ أَبِي الْمُطَهِّرِ قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ -وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي- يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ قَالَ: فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلاته قَالَ: ذَكَرْتُمْ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ؛ أَمَا إِنَّهُ قُتِلَ فِي أَوَّلِ أَرْضٍ عُبِدَ فِيهَا غَيْرُ اللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ وَدًّا -قَالَ: وَكَانَ وَدٌّ رَجُلًا مُسْلِمًا وَكَانَ مُحَبَّبًا فِي قَوْمِه، فلما مات عَسْكَرُوا -اعتكفوا- حَوْلَ قَبْرِه فِي أَرْضِ بَابِلَ وَجَزِعُوا عَلَيْه، فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ جَزَعَهُمْ عَلَيْه تَشَبَّهَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَرَى جَزَعَكُمْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ؛ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ أُصَوِّر لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَصَوَّرَ لَهُمْ مِثْلَهُ، قَالَ: وَوَضَعُوهُ فِي نَادِيهِمْ وَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ ذِكْرِه قَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَجْعَلَ فِي مَنْزِلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ تِمْثَالًا مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَمَثَّلَ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ تِمْثَالًا مِثْلَهُ؛ فَأَقْبَلُوا فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ بِه، قَالَ: وَأَدْرَكَ أَبْنَاؤُهُمْ فَجَعَلُوا يَرَوْنَ مَا يَصْنَعُونَ بِه وَتَنَاسَلُوا وَدَرَسَ أَمْرُ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْلَادُ أَوْلَادِهِمْ؛ فَكَانَ أَول ما عُبِد غير الله: الصنم الَّذِي سَمَّوْهُ وَدًّا» (انتهى

لابد مِن إدراك الخطر والشعور بالأزمة؛ لاستخراج الطاقة الكاملة المتكاسلة عند الكثيرين

لابد مِن التحمّل والصبر على ثوابت الدين والبذل والتضحية في سبيل ذلك

باختصار من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٥ – ٣٣٧٦).

فتأمل كيف تَوَصّل الشيطان للشرك بهذه الخطة الخبيثة بالتدرج مع بني آدم بنقصان الحق وزيادة الباطل؛ فلَم يَبدَأهم بالأمر بعبادة الأوثان، ولكن أوحى إليهم بدعة التماثيل التذكارية والعكوف على قبور الصالحين العلماء المُوَحّدين.

عدم فهم الفرق بين السُنّة والبدعة

وقد كانت التلامذة عندهم حقيقة التوحيد دون فهم الفرق بين السُّنة والبدعة، ثم ضَعف العلم أكثر وأكثر؛ فجاء تلامذة التلامذة الذين لم يفهموا من التوحيد وأصل الدين ما كان يفهم شيوخهم وآباؤهم فسهُل على الشيطان أن يدعوهم إلى الشرك باسم التوسل والاستسقاء، كما يُجَوِّز مُبتدعة زماننا ذلك، ويطلبون المدد والشفاء، والسند والأمان، وحراسة البلاد مِن الصالحين الأموات!

الشدة على دعاة التوحيد

ويشتدون في النكير على دعاة التوحيد، ويتهمونهم بأنواع التهم الباطلة لتشويه صورتهم؛ ليتسنى لهم إضلال العامة، ولم يفكروا قط في أن أدعية القرآن كلها عن الأنبياء وغيرهم لم تتضمن آية واحدة منها دعاءً فيه التوسل الشركي المزعوم بدعاء الأموات أو دعاء الملائكة والصالحين، والرسول -ﷺ- قد عَلّم أمته الأدعية العظيمة والأذكار السامية في كل مواقف حياتهم اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية والعمرية وفي الأحوال جميعها لا تجد فيها حرفًا مما يَذكره أهل البدع إلا في الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي اخترعوها، أو التلبيس على الناس بالاستدلال بما ليس بدليل.

ينقص الحق بالتدريج

ويتغير الحال وينقص الحق بالتدريج بعد كل نبي من الأنبياء، وهناك من الأمم مَن دَخله النقص في حياة نبيهم، كاليهود؛ فإنهم عَبَدوا العجل في حياة موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بعد أن تركهم أربعين ليلة، بل في وجود هارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وكادوا يقتلونه لنهيهم عن عبادة العجل، وقد تَعَرّض المسلمون الأوائل بعد وفاة رسول الله -ﷺ- لهذا النقص الشديد؛ حين ارتد أكثر العرب واتبعوا أدعياء النبُوّة ولم يكن يُسجد لله في الأرض إلا في ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد عبد القيس في جواثا بالبحرين، لكن ثَبّت الله أبا بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فثبت بثبوته الصحابة، وحاربوا المرتدين حتى نصرهم الله عليهم وقضوا على الردة نهائيًا، وانتشرت بعد ذلك الفتوح ففتحت المشارق والمغارب، ووصلت دولة الإسلام شرقًا إلى الصين، وغربًا إلى الأندلس، وشمالًا إلى القوقاز، وجنوبًا إلى إفريقيا.

الفتن المتتابعة

ثم وَقَعَت الفتن المتتابعة؛ لينظر الله كيف نفعل، وكيف نعبده في زمن الغربة، وتحمل مشاق الغربة، وهو -سبحانه- يحب من عباده المؤمنين الغرباء أن يتحملوا ذلك، وقد شهدنا في زماننا صحوة إسلامية، وعودة إلى الالتزام بالدين كتابًا وسُنّة ويَقَظَةً واسعة، لترك البدع والخرافات والدعوة إلى تحكيم الشريعة والحفاظ على هوية الأمة، ثم وقعت الفتن.

تفريغ الأجيال القادمة

وها نحن نرى خطر تفريغ الأجيال القادمة من شخصيتها الإسلامية، ونشر الشبهات والشهوات في الشباب، والشبهات أخطر والشهوات أكثر؛ فقد أَطَلّت الخُرافة مِن جديد، وظهرت البدع المخالفة لمنهج السلف مرة أخرى، بل وظهر الإلحاد والاعتراض على القرآن صراحة، فضلًا عن الطعن في السُّنة ومرجعيتها وثبوتها ومصادرها، وقَوِيَت حركة التغريب واعتبار ذلك تَمَدُّنًا حضاريًّا، وانتشرت فكرة فصل الدين عن الدولة والسياسة -بل عن الحياة كلها- وإلغاء مرجعية الشريعة في مواجهة القانون الوضعي، والدعوة صراحة لإلغاء «الولاء والبراء» كأنه ليس منصوصًا عليه في القرآن! فضلا عن كَمّ هائل مِن الشبهات حول عامة قضايا التوحيد والإيمان.

فتن الشهوات

أما الشهوات فالمال والجنس والمواقع الإباحية والمخدرات، والصراعات السياسية على المُلك والرياسة والسيطرة تمثّل أخطر الاختراقات التي تهدد مجتمعَنا، وكذا إلهاء الشعوب بالمسلسلات والأفلام ومباريات الكرة العابرة للقارات فضلًا عن المحلية؛ مما صارت معه المحافظة على الصلاة في الشباب والنساء نسبة ضئيلة، وصار تعمير المساجد لكبار السن كما كان قبل «الصحوة»، وأصبح الفطر في رمضان أمرًا مُعتادًا في كثير مِن البلاد، أما كثرة سفك الدماء بغير حق والسِّباب والقذف، بل سب الدين -وأحيانًا سب الإله سُبْحَانَهُ- فأصبح أمرًا اعتادته كثيرٌ من الشعوب!

ما المخرج إذًا؟

أولًا: لابد مِن إدراك الخطر والشعور بالأزمة؛ لاستخراج الطاقة الكاملة المتكاسلة عند الكثيرين، التي صبغ خمولها حياتنا بالعجز والكسل -نعوذ بالله من العجز والكسل-.

ثانيًا: لابد من الاهتمام ببناء الإنسان؛ فهو حجر الزاوية في الإصلاح والتغيير، فلابد من الاهتمام بالعلم بالوحي «كتابًا وسُنّةً» ليكونا أساس بناء الإنسان؛ عقيدةً، وعملًا وسلوكًا، ومنهجًا، ولابد مِن الاهتمام بأداء العبادات على وجهها وفي أوقاتها، والحذر مِن تضييعها، قال -تعالى-: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥)، والعودة إلى تعمير المساجد، والمحافظة على الأذكار الموظَّفة وغير المُوَظّفة، ولابد في مسائل العلم مِن إتقان الرد على الشبهات المُضِلّة والبِدَع المحدَثة القديمة منها والحديثة، وإعداد فِرَق مِن طلاب العلم للتخصص في القضايا المختلفة المطروحة؛ ابتداءً مِن الإلحاد، والحلول والاتحاد، ونفي الصفات والأفعال، والقول بالجبر أو نفي القَدَر، إلى مسائل التكفير وفكر الخوارج، والتغريب، وغير ذلك من أنواع البدع.

ثالثًا: لابد مِن الدعوة إلى الله بكل الوسائل، والوصول إلى كل طبقات المجتمع، ورفض التحوصل؛ للحفاظ على كيان المجتمع بالحفاظ على الكيان الدعوي للدعوة الوسطية الحقيقية الصحيحة -الدعوة السلفية-، ورفض خيارات التدمير والتخريب والصراع الصفري كما يسميه أصحابه.

رابعًا: لابد مِن التحمُّل والصبر والثبات على ثوابت الدين، والبذل والتضحية في سبيل ذلك، ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:١-٣).



الإمام البخاري وصحيحه الجامع

(٢)

شحات رجب بقوش

ما زال الحديث مستمر حول الإمام البخاري وصحيحه؛ حيث ذكرنا أن الله -تعالى- كرَّم أمة الإسلام بحفظ مصادر استدلالها، قال الله -تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، وقلنا: إن الناظر في الطعون المعاصرة في السُّنة النبوية يجد أنَّ أكثرها مُوَجَّه نحو صحيح البخاري، والسبب في ذلك أنَّ الطاعنين عَرَفوا مكانة الجامع الصحيح في نفوس المسلمين؛ فأرادوا إسقاط هيبته؛ لأن في ذلك إسقاطًا لهيبة الكتب الأخرى دون عناء، وتوقفنا عند رحلة البخاري -رحمه الله- في طلب العلم، وكيف أنه بدأه في سن مبكرة وأثر ذلك عليه.

أدرك عددًا ممن يروي عن التابعين

فقد كان من بركات الطلب المبكر للحديث، والهمة العالية أن أدرك عددًا ممن يروي عن التابعين أمثال: المكي بن إبراهيم وطبقته؛ مما جعل إسناده عاليا عن أقرانه، ووجد في صحيحه أحاديث ثلاثية الأسانيد، وكان هذا مما أهَّل البخاري فيما بعد أن يكون قبلة طالبي الحديث بأسانيد عالية، قال محمد بن أبي حاتم الوراق -تلميذ البخاري وكاتبه-: «وأملى يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا -يعني البخاري-، فخاف ملالي، فقال: طب نفسًا، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبيﷺ وأصحابه» (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٤٥).

كثرة ما أنتجه من تصانيف

كما كانت من بركات الطلب المبكر والهمة العالية كثرة ما أنتجه من تصانيف؛ حيث كان أوَّل مُصنَّف يُصنِّفه عندما بلَغ الثامنة عشرة عامًا، ومن أشهر الكتب التي صنَّفها: (قضايا الصحابة والتابعين، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير، والأدب المفرد، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين، وخلق أفعال العباد، وكتاب (الضعفاء)، و(الجامع الكبير)، و(المسند الكبير)، و(التفسير الكبير)، وكتاب: (الأشربة)، وكتاب: (الهبة)، و(أسامي الصحابة)، وكتاب (الوحدان)، وكتاب (المبسوط)، وكتاب (العلل)، وكتاب (الكُنى)، وكتاب (الجامع الصحيح)، وهو أجَلُّ كُتبه نفعًا وأعلاها قدرًا.

عصر الرواية الذهبي

فقد عاش البخاري في عصر الرواية الذهبي، وعاصر النقاد الجهابذة؛ فكان يتقي الشبهات حتى لا يطعن في عدالته؛ فيضيع ما جمعه من حديث، ومن أجل تحقيق ذلك كان يترك بعض المباحات اتقاءً للشبهات، قال وراقه (محمد بن أبي حاتم): «سمعته يقول: ما توليت شراء شيء قط، ولا بيعه، كنت آمر إنسانًا فيشتري لي! قيل له: ولِمَ؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان»، فصان نفسه عن المباح؛ خوفًا من أن يُنتقص فتسقط مروياته -رحمه الله.

الحفاظ على عدالته

وقد يخسر مالًا من أجل الحفاظ على عدالته: يحكي الشيخ عبد السلام المباركفوري: أن الإمام البخاري ركب البحر مرة في أيام طلبه، وكان معه ألف دينار؛ فجاءه رجل من أصحاب السفينة، وأظهر له حبه ومودته، وأصبح يقاربه ويجالسه، فلما رأى الإمام حبه وولاءه، مال إليه، وبلغ الأمر أنه بعد المجالسات أخبره عن الدنانير الموجودة عنده، وذات يوم قام صاحبه من النوم؛ فأصبح يبكي ويُعْوِل، ويمزق ثيابه، ويلطم وجهه ورأسه، فلما رأى الناس حالته تلك أخذتهم الدهشة والحيرة، وأخذوا يسألونه عن السبب، وألحوا عليه في السؤال، فقال لهم: كانت عندي صرة فيها ألف دينار وقد ضاعت!

فأصبح الناس يفتشون ركاب السفينة واحدًا واحدًا، وحينئذ أخرج البخاري صرة دنانيره خِفْية وألقاها في البحر، ووصل المفتشون إليه وفتشوه أيضًا فلم يظفروا بشيء، كما لم يجدوا شيئًا عند

باقي ركاب السفينة؛ فرجعوا إلى الرجل المدعي، ولاموه، ووبخوه توبيخًا شديدًا. ولما نزل الناس من السفينة جاء الرجل الى الإمام البخاري وسأله عما فعل بصرة الدنانير؟

فقال: ألقيتها في البحر! قال: كيف صبرت على ضياع هذا المال العظيم؟ فقال له الإمام: أتدري أنني أفنيت حياتي كلها في جمع حديث رسول اللهﷺ، وعرف العالم ثقتي؛ فكيف كان ينبغي لي أن أجعل نفسي عرضة لتهمة السرقة؟ وهل الدرة الثمينة (الثقة والعدالة) التي حصلت عليها في حياتي أضيعها من أجل دراهم معدودة؟! (سيرة الإمام البخاري، ١/١٢٢-١٢٣)، لقد اشترى سمعته بمال عظيم من أجل ما يحمله من حديث رسول اللهﷺ.

الخشية من مظالم الناس

وكان يخشى من مظالم الناس حتى لو كانت صغيرة، قال وكان يركب إلى الرمي كثيرًا، فما أعلم أني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق، قال: وركبنا يومًا إلى الرمي ونحن بفربر؛ فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة؛ فجعلنا نرمي فأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر فانشق الوتد، فلما رأى ذلك نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة -وهو يتنفس الصعداء-، فقلت: نعم. قال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول: إنا أخللنا بالوتد؛ فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حلٍّ مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حلٍّ مما كان منك؛ فإن جميع ملكي لك الفداء، فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه، وأظهر سرورًا كثيرًا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث، وتصدق بثلاثمائة درهم (فتح الباري ١/٤٨٠).

لا يفعل شيئًا إلا بنية

وكان البخاري -رحمه الله- لا يفعل شيئًا إلا بنية، وهذا يجعله ورعًا: قال وراق البخاري: «رأيته استلقى ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني سمعتك تقول ما أتيت شيئًا بغير علم، فما الفائدة في الاستلقاء؟ قال: أتعبت نفسي اليوم، وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو؛ فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة؛ فإن غافصنا العدو كان بنا حراك» (المرجع السابق).

الحفظ ثم الكتابة

عاش البخاري -رحمه الله- كما ذكرنا عصر الرواية التي كان عمادها على الحفظ ثم الكتابة، وقد ضرب المثل في الحفظ والإتقان لحديث النبيﷺ، وهذا جاء من سببين:

الأول: توفيق الله -تعالى- لعبده.

والثاني: الدأب في الطلب واستفراغ الوسع.

قال الحسين بن حريث: «لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كأنه لم يخلق إلا للحديث،

لمَّا ذاع صيته في الحفظ والضبط، كان أقرانه بين الحين والآخر يعقدون له امتحانًا؛ حرصًا منهم على حديث رسول اللهﷺ

كان من بركات طلب البخاري المبكر للحديث أن أدرك عددًا ممن يروي عن التابعين

وقال أبو حاتم الرازي: لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه» (الفتح: ١/ ٤٨٤).

علامات النبوغ

وقد ظهرت علامات النبوغ في الحفظ عليه منذ صغره: قال حاشد بن إسماعيل: «كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام؛ فلمناه بعد ستة عشر يومًا، فقال: قد أكثرتم عليَّ فاعرضوا عليَّ ما كتبتم؛ فأخرجناه، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه!»، وقال محمد بن الأزهر السجستاني: «كنت في مجلس سليمان بن حرب، والبخاري معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ما له لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه».

حفظ أسماء الرجال

وكان حافظًا لأسماء الرجال وكناهم، وألقابهم وأنسابهم، لا يختلط عليه منها شيء، ظهر ذلك في مجلس شيخه محمد بن يوسف الفريابي عندما قال: «حدثنا سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أبي حمزة، فلم يعرف أحد في المجلس مَن فوق سفيان، فقال البخاري لهم: أبو عروة هو معمر بن راشد، وأبو الخطاب هو قتادة بن دعامة، وأبو حمزة هو أنس بن مالك».

تفوقه على أقرانه

ولمَّا ذاع صيته في الحفظ والضبط، كان أقرانه بين الحين والآخر يعقدون له امتحانًا؛ حرصًا منهم على حديث رسول اللهﷺ، قال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربعمائة محدث؛ فتجمعوا وأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل؛ فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد العراق في إسناد الشام، وإسناد الحرم في إسناد اليمن، فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة.

قصته حين قدم بغداد

وكذا قصته حين قدم بغداد وعقدت له المجالس، فأراد محدثوها اختباره، فجعلوا أسانيد مائة حديث على غير متونها، وعرضت عليه حديثًا حديثًا يقول لكل منها: «لا أعرفه»، فعلم المحدثون أنه فطن للأمر، والعوام استهجنوا قوله، وظنوه جاهلًا، فإذا به قبل انتهاء المجلس يصحح ما سمعه، فيرد كل متن إلى إسناده!

قال ابن عدي: «هنا يخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظًا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة!»، فالبخاري آية في الحفظ والإتقان، استعمله الله -تعالى- لخدمة سنة نبيهﷺ، فلا يقدح فيه ويتعقب عليه إلا مَن كان مثله، حفظ الألوف من حديث النبي سندًا ومتنًا، واختلطت بشحمه ولحمه، وجرت في عروقه كالدم، وشُغل بها ذهنه.

أمَّا أن يأتي منتقد، لم يحفظ ولم يقرأ، فضلًا من أن يكون فهم واستوعب؛ فهذا لا يسمع له، إنما هو مشكك جاهل!

هل يستفيد المجتمع من الدعاة إلى الله -تعالى؟

محمود طراد
(باحث دكتوراه في الثقافة الإسلامية)

الدعوة إلى الله -تعالى- حياة الأديان؛ فلا حياة لدين إلا بالدعوة إليه، والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله -تعالى- للناس، وجعله مرتبطاً بجوانب حياتهم كافة؛ حيث نظم لهم حياتهم الخاصة والاجتماعية، قال -تعالى-: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة: ٣) وقال -تعالى-: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ (آل عمران: ٨٥) وقال -تعالى-: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران ١٩). وقال النبي -ﷺ-: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا». ولما كان الإسلام ديناً ينظم حياة الناس بما يصلحهم ويصلح لهم دنياهم وأخراهم، كانت الدعوة الإسلامية التي هي حياة هذا الدين وسيلة لخدمة المجتمع في شتى جوانب الحياة، وكان الداعية إلى الله -تعالى- من أنفع الناس للمجتمع، وهذا ما توضحه الفقرات الآتية:

التهيئة المجتمعية للدعاة

في عملية الدعوة الإسلامية يربى الداعية على أن يقدم في دعوته ما فيه مصلحة مجتمعة، فيتعلم أن الدين هو النصيحة، وأن دوره في المجتمع يتسع فيشمل معايشة البيئة التي يقوم فيها بدعوته؛ فلا ينفصل عنها حتى يقدم لها ما يصلحها، وقد وصف الله -تعالى- الدعاة بالمصلحين في القرآن الكريم؛ فقال -سبحانه-: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾. (الأعراف: ١٧٠)، وقد مثل النبي -ﷺ- دور الدعاة إلى -تعالى- في مثال السفينة بما يوضح علاقتهم بنجاة المجتمع وما فيه صلاحه، قال -ﷺ-: «مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ اللّهِ، والْوَاقِعِ فيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينَةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقالُوا: لَوْ أنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا». رواه البخاري. وهذه النصيحة التي يقوم بها الدعاة لا ترتبط بفئة معينة من فئات المجتمع، بل هي لجميعهم، قال -ﷺ-: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم».

الدعوة بالقدوة من وسائل خدمة المجتمع

لم يحدد الإسلام للدعوة وسيلة واحدة، مثل الخطبة والمحاضرة فقط، بل جعل من وسائل الدعوة، القدوة، ذلك أن مما يجمع الناس على الداعية أن يكون معيناً لهم ومحسناً إليهم ساعياً في قضاء حوائجهم، فتكون الدعوة الإسلامية بذلك قد ظهر نفعها في المجتمع، حين توجب على الداعية أن تكون له علاقة فعلية مع الناس، ينشر بها كريم الأخلاق، وينفع بها المجتمع، قال -تعالى-: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء ١١٤). وحينما ننظر في حياة أفضل الناس وهم الرسل، نجد وسائل دعوتهم لا تخلو من

ذلك، فكانوا دعاة مصلحين، والنبي -ﷺ- كانت تأتيه الجارية، فتأخذ بيده، فلا يردها حتى يقضي حاجتها، وقد ترك من إرثه الدعوي قوله: «لأن أمشي في حاجة أخي حتى أقضيها له خير لي من أن أعتكف في مسجدي هذا كذا وكذا». فالدعوة بالقدوة نفع للمجتمع وإصلاح للناس.

خدمة الدعوة للمجتمع

إن شمولية الدعوة الإسلامية لم تجعلها قاصرة أبدا على العبادات، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل الحقوق والواجبات الاجتماعية، فعندما يقوم الداعية بدوره في المجتمع فإنه يراقب ويراعي أخلاقيات المجتمع، ويعمل على تغييرها، فتجد الدعوة الإسلامية تؤكد دائماً وأبداً الأخلاق الحسنة، وأن الأعمال الصالحة تبقى بلا نفع ما لم يكن معها حسن خلق، وهذا مما لا شك فيه يعصم المجتمع من الانحراف والتفسخ.

تهتم الدعوة في هذا الجانب بالأمر برعاية الفقراء والمحتاجين، والإحسان إليهم، قال -تعالى-: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ (البقرة ٢٢٠)، وقال -تعالى-: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد ١٧)، وقال -ﷺ-: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل».إننا نجد الدعوة إلى العبادة متسقة تماما مع الدعوة إلى مراعاة حقوق الآخرين، وإلى التعاون معهم، وإلى المساواة بين الناس وعدم احتقارهم، بل وإلى إكرامهم والإحسان إليهم، وإلى الاتحاد والأخوة، وقال -ﷺ-: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى». وقال -ﷺ-: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منه الآن» الحديث، وقال: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له». بل يؤكد سيدنا عمر -رضي الله عنه- العلاقة بين هذا النفع العام وبين اتباع النبي -ﷺ- فيقول: «والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة».

خدمة الدعوة للمجتمع اقتصادياً

كما ترتبط الدعوة ارتباطاً وثيقاً بما ينفع المجتمع اقتصادياً، وذلك ما جاء في قوله -تعالى-: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠)، وقوله -ﷺ-: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». كما يتبنى الداعية حث الناس على إخراج الزكاة التي هي من أظهر أنواع التكافل في المجتمع، فيوضح أنها من أركان الإسلام، وأن من لم يؤد زكاته استحق عقوبة ذلك، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وهذه من أعظم الأعمال التي ينتفع بها المجتمع؛ إذ تقتل في المجتمع أخلاق الضغينة والحقد والكراهية والحسد والغيرة، فتكون الدعوة قد ساهمت بجزء كبير -إن لم يكن الأكبر- في استقرار المجتمع نفسياً.

> **شمولية الدعوة الإسلامية لم تجعلها قاصرة أبدا على العبادات، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل الحقوق والواجبات الاجتماعية**

الداعية يراقب القيم الإنسانية

وإلى ذلك نضيف أن مجموعة من القيم تركز عليها الدعوة الإسلامية؛ من أجل التنمية الاقتصادية للمجتمع، من ذلك: الأمر بإعمار الأرض استجابة لأمر الله -تعالى- ﴿وَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود: ٦١) والأمر بعدم الإسراف والاعتدال في النفقة ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾ (الإسراء: ٢٦) والأمر بالمشاركة في هذه التنمية والترغيب فيها «من أحيا أرضاً ميتة فهي له». وبذلك تربط الدعوة الإسلامية بين طاعة الله -تعالى- وبين تنمية ثروات المجتمع.

إصلاح العبادة وتبصير العباد

قام النبي -ﷺ- بدوره كونه الداعي الذي بعثه الله -تعالى- للبشرية، ومن هذا الدور قيامه بالرد على أسئلة المستفتين، وهذا ما يقوم به العلماء والدعاة، تبصير العباد بما يجب عليهم تجاه دينهم مع إصلاح تلك الممارسات والعبادات بما ورثه العلماء من نصوص الدين التي توضح العبادة وكيف يؤديها الناس؟ وليس أنفع من أن يصلح الناس دينهم الذي هو عصمة أمرهم، وعليه سيحاسبون، وبه يحدد مصير كل منهم في الآخرة، فإذا كان هذا دور الدعاة، فأعظم به من نفع للمجتمع. مع تنبيه الإسلام للمفتي أنه على خطر عظيم إذا أفتى الناس بغير ما يجب، وأنه بذلك يكون كاذباً على الله وخادعاً للمجتمع.

> **الداعية إلى الله -تعالى- حرس على حدود الشريعة، لا يقوم بدراسة الإسلام وحده، بل الداعية الحقيقي من يقف على أفكار الآخرين**

حماية الأمن الفكري للمجتمع

الداعية إلى الله -تعالى- حرس على حدود الشريعة، لا يقوم بدراسة الإسلام وحده، بل الداعية الحقيقي من يقف على أفكار الآخرين، ويؤمن بأهمية تعزيز هذا الأمن الفكري للمجتمع. والقرآن الكريم الذي هو رسالة الداعية يحمل في بدايته التحذير من الأفكار المنحرفة، يقول -تعالى-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (آل عمران: ٧). يقوم الدعاة إلى الله بتفنيد الشبهات والرد عليها، وتبصير المسلمين بها، وفضح من يحاول الطعن في الدين وتشكيك المسلمين في تراثهم وإقصائهم عن دينهم، وقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في ذلك، فنجد منهم من برع في الرد على الفرق المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام، ومنهم من برع في الرد على الأفكار الوافدة كالفلسفة اليونانية وغيرها، ذلك أنهم يعرفون أن الانحراف الفكري بداية كل فساد، وقد حذر الله المسلمين من الانحراف والتفرق إلى شيع وطوائف، تتضاد أفكارهم فلا يجتمعون على الحق، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣١، ٣٢) وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

يتضح من ذلك أن الداعية إلى الله -تعالى- صمام للمجتمع، ومصلح له ونافع، يستمد هذا النفع من الأمانة التي يحملها، والرسالة التي يبلغها. والله المستعان.

البصيرة في الدين حقيقتها ومراتبها ومنزلتها

الشيخ: خالد بن عثمان السبت (٥)

ما زال الحديث موصولاً عن البصيرة في الدين، وقد بينا أن الحديث عن البصيرة في الدين خلال هذه الأيام ماسة وشديدة، لكثرة ما نشاهده من الفتن، والأمور التي تزلزل الناس، فنحن بحاجة إلى مدارسة هذه القضايا حينًا بعد حين، وأن نتذاكر، وأن نتواصى، وأن نتناصح، وأن لا نمل، ولا نفتر من طرح هذه الموضوعات، وكنا تحدثنا عن كيفية تحقيق التقوى وذكرنا منها خمسة أمور وهي: فعل الطاعات، وترك

أكل الحلال

إن أكل الحلال له تأثير عجيب في التوفيق، والهداية للصواب، والحق، ومن الحرام يتولد عمى البصيرة، وظلام السريرة، كما يقول ابن الجوزي - رحمه الله -:

التقلل من الفضول بأنواعه

فضول النظر، فضول الكلام، والأكل، والشرب، والخلطة، والنوم، فهذا الفضول كله يورث الغفلة إذا كان في المباح، فكيف إذا كان ذلك فيما حرمه الله -تعالى-؟! فإن من أكثر من هذا الفضول ضعفت بصيرته، وتلاشت، وصارت الغفلة غالبة عليه، ولذلك ذكروا مثلاً من فوائد الجوع: صفاء القلب، وإيقاد القريحة، وإنفاذ البصيرة، قالوا: فإن الشبع يورث البلادة، ويعمي القلب، ويكثر الأبخرة في الدماغ، فهو شبيه بالسكر، فيثقل القلوب، فلا تجري في الأفكار التي كان ينبغي أن تجري فيها، ولا يكون لها من سرعة الفهم، والإدراك، بل قالوا: إن الصبي إذا أكثر من الأكل بطل حفظه، وفطنته، وذهنه، وصار بطيء الإدراك، والفهم، والمعرفة.

الرغبة فيما عند الله

أن يكون العبد راغباً فيما عند الله -تبارك، وتعالى-، وأن يجعل أمرك لله -تعالى- ليكن تطلعك، وإقبالك على ربك، وخالقك -سبحانه-، فحينما يعمل الإنسان الأعمال الصالحات من الأمور القاصرة، أو الأمور المتعدية، يكون أمره لله لا يريد عرضاً من الدنيا، لا يريد منزلة، وحظوة من المخلوقين، لا يريد منهم تقديراً، واحتراماً، وإشادةً، وتقديماً، وما إلى ذلك، فمن كانت نيته الدنيا أُعطي منها، ونقص من آخرته أضعافه، وتفرق عليه الهم، وكثر بالحرص، والرغبة شغله، ومن كانت نيته الآخرة أعطي من البصيرة، والحكمة، والفطنة، وفتح له من التذكرة، والعبرة بقدر نيته، وجمع له همه كما ذكر ذلك بعض أهل العلم.

أكل الحلال له تأثير عجيب في التوفيق والهداية للصواب والحق

أمور مكملة للبصيرة

فمن ذلك: الصبر، كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - فذلك لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما، يقول الحسن البصري - رحمه الله -: إن شئت أن ترى بصيراً لا صبر له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابراً لا بصيرة له رأيته، فإذا رأيت صابراً بصيراً فذاك.

وهكذا العزيمة فإنها لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا، والآخرة، وبلغت به همته من العلياء كل

مكان، فتخلُّف الكمالات إما من عدم البصيرة، وإما من عدم العزيمة، يعني: يبصر الحق، يعرف الحق لكن لا عزيمة له على سلوك طريقه، والعمل بمقتضاه.

أمور تضعف البصيرة

أما ما يضعفها فأشير إلى جملة من الأمور تبلغ خمسة:

أولاً: الكفر بالله -تبارك، وتعالى-؛ فهو يطمسها بالكلية فتظلم بصيرته، والله -تعالى- ضرب المثل لهذا بقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠)، فالكفر ظلمة منقطعة عن نور الله -تعالى- وضلال، لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى، فهذه بلية، ومصيبة إذا بُلي العبد بها فإنه لا يبصر الطريق إلى الحق بحال من الأحوال.

ثانياً: النفاق

فزرع النفاق ينبت على ساقيتين، كما ذكر الحافظ ابن القيم - رحمه الله:

الأولى: الكذب، والثانية الرياء، ومخرجهما من عينين - يعني: أن هاتين الساقيتين تخرجان من عينين - الأولى: ضعف البصيرة، والثانية: ضعف العزيمة، فضعف البصيرة يجعل هذا الإنسان يقبل على ما يضره، يرائي الناس، فيضيّع أعماله، ويضيع نصيبه عند الله، ولا يزيده ذلك في قلوب الخلق إلا مقتاً، ولا يزيده من الله -تبارك، وتعالى- إلا بعداً، وهو لا يشعر.

وهكذا حينما تضعف بصيرته فإن عزيمته تكون ضعيفة خامدة، فإذا تمت هذه الأركان الأربعة استحكم نباتُ النفاق، وبنيانه، والله قال عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩)، فهذا يدل على أن العمل السيئ قد يعمي البصيرة،

غض البصر عما حرم الله يعوض العبد به من جنسه بما هو خيرٌ منه

والإنسان لا يشعر بما حوله، وما يقع له، هنا: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ فنفى عنهم الشعور، فلا يشعر بما حوله، وهذا أمر عظيم، ولا يكون إلا بسبب انطماس البصائر.

ثالثاً: المعاصي

قال البخاري - رحمه الله - في الصحيح: باب ما يحذر من الحدود، وقال ابن عباس: ينزع منه نور الإيمان في الزنا، وأورد البخاري - رحمه الله - حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن، ولا يشرب الخبر حين يشربها، وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق، وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، وهو مؤمن، قالوا في شرحه كما جاء في قول المهلب: ينزع منه نور الإيمان، يعني ينزع منه بصيرته في طاعة الله لغلبة الشهوة عليه.

الشهوة تكون مثل السكر، يكون على بصرة مثل الضباب إذا غلبت الشهوة، فيقع في هذه المعصية، لكن المؤمن سرعان ما يفيق، ويندم، ويتراجع، وتتحرك النفس اللوامة، فتلومه على مواقعة المعصية، أو الفاحشة، فهذه البصيرة حال المواقعة للمعصية كأنها نور أطفأته هذه الشهوة من قلبه، ويشهد لهذا قوله -تبارك، وتعالى-: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

العزيمة لقاح البصيرة فإذا اجتمعا نال صاحبهما خيري الدنيا والآخرة

(المطففين: ١٤)، وقد قال مالك للشافعي - رحمه الله - حينما رآه لأول وهلة، قال: إني أرى الله -تعالى- قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية، فهذا النور لا يزال يضعف، ويضمحل مع مواقعة المعاصي، ومع ظلماتها حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم.

فوائد غض البصر

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فوائد غض البصر، وأنه يورث نور القلب، والفراسة، واستشهد بقوله - تعالى- عن قوم لوط - عليه الصلاة، والسلام -: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، وسكر القلب، بل جنونه، وذكر -تبارك، وتعالى- آية النور عقب آيات غض البصر، فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥).

وهذا فيما يعرف بعلم المناسبة، يعني: وجه الارتباط بين هذه المذكورات المتتابعة في كتاب الله -تعالى-: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: ٣٠) فذكر هذا، ثم إن الله -تبارك، وتعالى- ذكر بعده قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، مما يدل على أن غض الأبصار يورث انفتاح البصائر، فكيف بأولئك الذين يسرّحون أبصارهم، ويجلسون ليلاً طويلاً أمام بعض المواقع الإباحية، وينظرون إلى ما لا يحل لهم النظر إليه؟ كيف تكون البصائر مع هذه الحال؟

شيخ الإسلام -رحمه الله- يقول: إن الله يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فغض البصر عما حرم الله يعوض العبد به من جنسه بما هو خيرٌ منه، فيطلق الله تعالى نور بصيرته، ويفتح عليه باب العلم، والمعرفة، الجزاء من جنس العمل، وقد ذكر نحو هذا الحافظ ابن القيم - رحمه الله - في الجواب الكافي.



أخطاء الواقفين

عيسى القدومي (٥)

شرع الوقف لأهداف سامية، ومقاصد نبيلة، وامتاز بتنظيم محكم دقيق، وقد أولى فقهاء الأمة ومحدثوهم العمل الوقفي والخيري والوقفي اهتماماً واضحاً، فبوبوا له الأبواب وقعدوا له القواعد، وبحثوا في مسائله ومستجداته، فأصلوه تأصيلاً شرعياً، وحددوا له الشروط والضوابط والمقاصد والغايات، إلا أن ذلك لم يمنع بعض الواقفين من الانحراف به عن نهج الشريعة، وقصد الشارع من إنشائه، وليس في ذلك عيب في الوقف ونظامه وأحكامه، إلا أن التطبيق العملي لهذه الأحكام قد أخرج بعضها عن الأهداف التي شرعت لأجلها، والمقاصد التي جاءت لتحقيقها، وذلك نتيجة لبعد الناس عن تعاليم الإسلام الحقة، وجهلهم بمعرفة الحكمة من تشريع هذه الأحكام، وهذا ما نتناوله في هذه السلسلة من أخطاء الواقفين.

عدم قطع النزاع فيمن سيتولى نظارة الوقف

الكثير من المنازعات التي تحصل في الأوقاف، تبدأ في النزاع حول الأحقية في النظارة، وفي ترك الوقف بلا ناظر إضاعة له، وكذلك جعل التنازع بين الأبناء أو غيرهم من غير حسم أمر النظارة تكون سبباً في إضاعة الوقف الذي سيؤدي حتماً إلى إضاعة المال، وإذا ظهر نزاع ودعوى في أحقية تولية الوقف بين الأبناء فنص أهل العلم على أن يولي القاضي ناظراً على الوقف لحين قطع النزاع وتوجيه توليه؛ لأن التولية على الوقف واجبة إذا لم تتم مصلحة قبض المال وصرفه إلا به، فإنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

إذن المرأة لمحارمها وموافقتهم قبل أن توقف

لا يشترط موافقة أحد من محارم المرأة على وقفها، فلها أن تنشئ وقفها الخاص؛ لأن ذلك من حقها فهي المالكة لذلك المال، فالشريعة الإسلامية جعلت للمرأة الحق في الملك ملكاً خاصاً بها، وجعلها صاحبة السلطان في إدارته والتصرف فيه، فأعطى الإسلام المرأة حق التملك وحق التصرف في ملكها بما تشاء من: البيع، والشراء، والهبة، والصدقة، والوصية، والإجارة، والإنفاق، والوقف، والرهن، كما أن للمرأة حق التقاضي والدفاع عن نفسها، وعن ملكها، كما أن للمرأة حق إقامة الدعوى، وفي صفحات التاريخ أخبار تدفع المسلمين رجالاً ونساء على الوقف، والفقهاء من جميع المذاهب استدلّوا بأوقاف النساء من أمّهات المؤمنين وغيرهن- رضي الله عنهنّ- لجواز أنواع من الوقف ولاستنباط بعض الأحكام.

فإن كان من حق في التصرف في جميع

ينبغي أن تكون أمور الوقف واضحة جلية فالوقف له ذمة مالية مستقلة عن غيره

مالها أو أملاكاً إذا كانت حرة رشيدة ما دام ذلك التصرف في دائرة المباح، من باب أولى إذا كان ذلك في القربات والطاعات؛ لأن النبي -ﷺ- في خطبته المشهورة أمر النساء أن يتصدقن ولو من حليهن، ولما تصدقن قبل منهن ما تصدقن به ولم يسألهن هل يملكن غير ما تصدقن به؟ وهل استأذن أولياءهن -أزواجاً أو غير أزواج- في ذلك؟ وهذا هو قول جمهور الفقهاء. وما سبق لا يمنع المشورة والتوجيه من المحارم وأهل الاختصاص، حتى يحقق وقفها النفع والاستدامة.

الامتناع عن الوقف الذي يخدم الدولة

الامتناع عن الوقف الذي يخدم الدولة أو يظن أنه من اختصاصات الدولة والحكومة، فيمتنع عن وقف المدارس أو المستشفيات أو مراكز التوجيه والإرشاد ومراكز تأهيل الأيتام ورعايتهم والعجزة، أو غيرها من المؤسسات التي تخدم المجتمع، ظناً منه أن ذلك من واجبات الدولة في توفيرها، وهذا من الأخطاء

من طرائق التحايل على الوقف اغتصاب ضعاف النفوس أرضًا أو بيتًا ثم يوقفونه ويجعلون ريعه على أنفسهم وذراريهم

الشائعة، ففي العهود الإسلامية كانت دولة الإسلام دولة قوية وغنية، ومع ذلك أوقفت الأوقاف التي تخدم الدولة، وكان لها الدور الأكبر في مواجهة الكثير من التحديات والمشكلات التي واجهت أمتنا الإسلامية عبر تاريخها الحضاري، فأسهم الوقف في كل مناحي الحياة الاجتماعية والعلمية والعسكرية الدعوية والإنمائية، وتاريخ الوقف مليء بأعاجيب ومشاريع تثير الفخر في النفوس، حتى في عهد ازدهار الدولة الإسلامية وفي فترات رخائها وغنائها، تكفلت الأوقاف بمعظم أعباء التعليم الأساسي والجامعي والشؤون الصحية والبنية الأساسية، وصرفت على متطلبات الأمن والدفاع، وأسهمت في تنمية التعليم والدراسة منذ مرحلة الطفولة حتى المراحل الدراسية العليا المتخصصة.

اشتراط عدم المشاركة في الوقف الواحد

قد يظن الواقف بأن أجر الوقف لا يكتب في صحائفه إلا إذا انفرد بالوقف وحده، مع عجزه – أحياناً – وقلة موارده لإتمامه، ولا شك أن ذلك من الأخطاء فتعدد الواقفين – الوقف الجماعى والمشاركة في الوقف- من المسائل الفقهية الجائزة؛ حيث يقول السرخسى: «ولو تصدق كل واحد منهما بنصف صدقة موقوفة على المساكين وجعلا الوالى لذلك رجلا واحدا فسلماها إليه جاز». ويؤكد ذلك بقوله «فلقد صار الكل صدقة واحدة مع كثرة المتصدقين»، والوقف الجماعي نوع من أنواع التعاون على البر والتقوى، وفيه تجميع للأسهم وللحصص الصغيرة وجعلها في صندوق أو محفظة لتوقف مجتمعة لخدمة مشروعات الخير المتعددة. ولا شك أن ذلك يشجع على الوقف بين قطاعات عريضة من الناس، ويؤمن مصادر لتمويل مشروعات الخير، ومن أبرز مشكلات الوقف في العصر الحاضر قلة إنشاء أوقاف جديدة، ومن أسباب ذلك أنه استقر فى الأذهان أن الواقف لابد أن يكون ثريا جدا، وأن الوقف يجب أن يكون بمال كثير، تعجز عنه إمكانات الكثير من المسلمين الآن الذين يرغبون فى الصدقات الجارية بالوقف، وبذلك يمكن إنشاء صندوق وقفى لغرض خيرى، ودعوة العديد من المسلمين للإسهام فى تكوين مال الوقف اللازم له استنادا إلى جواز مسألة تعدد الواقفين والغرض واحد.

خلط مال الوقف بمال غيره

ينبغي أن تكون أمور الوقف واضحة جلية؛ فالوقف له ذمة مالية مستقلة عن غيره، والخلط في ذلك يضيع حقوق الوقف، وحقوق الموقوف عليهم؛ فإذا ما اختلط مال الوقف بمال غيره من غير تفصيل سهل الاعتداء عليه، والادعاء بادعاءات باطلة، فلا بد أن تكون أصول الوقف واضحة محددة وموثقة ومشهوداً عليها، بوثائق تثبت الوقف وشروطه وطرائق إدارته، فالواقف ذمته مستقلة عن ذمة الوقف، فمتى ما أوقف الوقف فإن الموقوف يخرج من ملك الواقف؛ لذا

لا يشترط موافقة أحد من محارم المرأة على وقفها فلها أن تنشئ وقفها الخاص

تعتمد آلية الوقف حقيقة على المحافظة على رأس مال الوقف، وصرف الغلة والربح والثمرة للموقوف عليهم في مختلف وجوه الخير والمصالح العامة.

فيجب على ناظر الوقف، سواء كان الواقف أم غيره، وسواء كان قاضياً أم متولياً أم ديواناً أم نظارة أم وزارة، أن يحافظ على أصل الوقف مادياً (وهو الحفظ المادي) كحفظ العين العقارية الموقوفة، أو المال النقدي، أو المال المنقول، أو المال المتمثل بالمنافع، كما يجب عليه حفظ وثيقة الوقف التي وثق الوقف بها (وهو الحفظ المعنوي)؛ لأن الوقف خرج عن ملك الواقف إلى ملك الله –تعالى– «عند الجمهور» فلا يحق لأحد التصرف فيه، ولا يجوز الاعتداء عليه، أو الغصب، أو وضع اليد، إلا بطريق شرعي مأذون فيه.

وقف الأرض المغتصبة

وتلك من طرائق التحايل علي الوقف، بأن يغتصب ضعاف النفوس أرضاً أو بيتاً ثم يوقفوه ويجعلوا ريعه على أنفسهم وذراريهم؛ أو يضعوا أيديهم أيضاً على أراضٍ مشاعة ثم يتحايلوا بصياغة وثائق ويجعلوها وقفاً على مصارف تعود عليهم بالمنفعة كما يريدون، واجتهد العلماء والفقهاء في تنبيه العامة والخاصة على حرمة التعدي على الأوقاف، واجتمعوا على أن الاعتداء وغصب العين الموقوفة محرم؛ لعموم الأدلة الدالة على تحريم ذلك، ومنها قوله –تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠). وصح عن النبي –ﷺ– قال: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوق يوم القيامة من سبع أرضين». ونص العلماء إذا كانت العين المغصوبة موجودة في يد غاصبها، وجب ردها بلا خلاف بين العلماء، لعموم وجوب رد العين المغصوبة ودليل ذلك: ما رواه سمرة –رضي الله عنه– أن النبي –ﷺ– قال: «على اليد ما أخذت حتى تؤدي».



صور من الفساد المالي بينتها السنة النبوية (٥)

الفساد المالي في البيوع

د. محمد عودة أحمد الحوري

أستاذ مشارك - كلية الشريعة - جامعة اليرموك

يعد البيع من أوسع أبواب المعاملات المالية، التي يعتمد عليها قوام الحياة، ولما كانت النفس مجبولة على حب المال؛ فقد تطغى على صاحبها، وتنحرف عن السلوك القويم، رغبة في ربح المال وجمعه؛ لذا فلا عجب أن تكون الأسواق -وهي مجتمع الناس لتبادل البيع والشراء- أبغض الأماكن إلى الله -تعالى-، كما قال رسول الله -ﷺ-: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»، ويعلل هذا البغض نصيحة سلمان الفارسي -رضي الله عنه- قال: «ألا تكونن -إن استطعت- أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها؛ فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته».

ولما كانت النفس كذلك، وجدنا الشارع الحكيم يوجهها لما يصلح لها ويصحح حالها، بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى، ومن هذه التوجيهات الصدق في البيوع والابتعاد عن الكذب، يدل عليه قول رسول الله -ﷺ-: «فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، محقت بركة بيعهما»، وقد بينت السنة النبوية القضايا التي تفسد البيع وتمحق بركة المال.

ملحقات بالبيوع

ومما قد يلحق بالبيوع من صور الفساد المالي لقربه منه في المعنى:

أولا : المال المكتسب بسبب الكهانة:

فقد نهى النبي -ﷺ- عن حلوان الكاهن.

والكاهن: الذي يتعاطى خبر المستقبل عن الكائنات، ويدعي معرفة الأسرار، وأبطل أبو بكر - رضي الله عنه - هذا الكسب بفعله فيما روت عائشة -رضي الله عنها-: قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء، ووافق من أبي بكر جوعا، فأكل منه لقمة قبل أن يسأل عنه، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر إصبعه في فيه، فقاء كل شيء في بطنه».

قال ابن هبيرة -رحمه الله -: في هذا الحديث من الفقه ما يدل على ورع أبي بكر -رضي الله عنه- ولا سيما في هذه الصورة؛ فإن أخذ الأجر على الكهانة محرم.

ثانيا: المال المكتسب بسبب القمار:

والقمار: كل لعب يشترط فيه غالب من المتغالبين شيئا من المغلوب.

قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: «نهى رسول الله - ﷺ- عن أكل طعام المتباريين: السباق، والقمار». وفي رواية قال: «نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل».

وعلل الخطابي -رحمه الله - النهي، فقال: «لأنه داخل في جملة ما نهي عنه؛ من أكل المال بالباطل.

من طرق الكسب الحرام التي تصل لدرجة الكبيرة التكسب بالحلف الكاذب

المال المكتسب من الكهانة من أنواع الفساد المالي في البيوع

ثالثا: كسب المال بالحلف الكاذب:

يسعى الإنسان لكسب رزقه ومن يعول، وعليه أن يتحرى الكسب الحلال، إلا أن بعضهم لا يبالي كيف كسب؟ ومن طرق الكسب الحرام التي تصل لدرجة الكبيرة؛ التكسب بالحلف الكاذب، وربما سوغ لنفسه بأنه محتاج، أو أن ما حلف عليه كان قليلا؛ لذا جاء التحذير النبوي من هذا العمل بصيغة مرهبة، قال رسول الله -ﷺ-: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه؛ حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار». قالوا: وإن كان شيئا يسيرا؟ قال: «وإن كان قضيبا من أراك»..

ويعلل القاضي عياض -رحمه الله- قائلا: «إنما كبرت هذه المعصية بحسب اليمين الغموس؛ التي هي من الكبائر الموبقات، وتغييرها في الظاهر حكم الشرع، واستحلاله بها الحرام، وتصييرها الحق في صورة المبطل، والمبطل في صورة المحق؛ ولهذا عظم أمرها».

صور الفساد المالي في الدين

يعد الدين وسيلة لا غنى لفئة من المجتمع الإنساني عنها؛ لتيسير حياتهم، وتسيير معاملاتهم؛ لذا نظمت الشريعة الإسلامية هذه المعاملة، ووضعت لها من المعايير المعنوية والمادية ما يضمن استمرارها، مع حفظ حقوق الناس، ومن أنواع الفساد المالي في الدين:

أولا: الربا

يعد الربا أبشع صور الفساد المالي عموما؛ فهو من الكبائر، وهو الذنب الذي أعلن الله -تبارك وتعالى- وأعلم بمحاربته صاحبه؛ إن لم يتب منه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩)، وتوعد بمحق الربا فقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة:٢٧٦)، وجاءت السنة النبوية بلعن آكله وموكله.

ثانيا: جحود الدين

قال رسول الله -ﷺ-: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها؛ أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها؛ أتلفه الله»، ففي هذا الحديث الشريف بشارة ونذارة: بشارة لمن أراد أن يقيم حياته ومن يعول وكان عاجزا، فله أن يقترض من الناس ما يقضي بمثله حاجته، شريطة أن يكون عازما على إعادة ما أخذه، وفيه نذارة لمن يستسيغ أخذ أموال الناس وليس في نيته إرجاعها.

يعد الربا أبشع أنواع الفساد المالي عموما؛ فهو من الكبائر

استئكال أموال الناس

قال ابن بطال -رحمه الله -: في هذا الحديث الحض على ترك استئكال أموال الناس، والتنزه عنها، وحسن التأدية إليهم عند المداينة، وقد حرم الله في كتابه أكل أموال الناس بالباطل، وخطب النبي -عليه السلام- بذلك في حجة الوداع، فقال: «إن دماءكم، وأموالكم، عليكم حرام»، يعني: من بعضكم على بعض، وفي حديث أبي هريرة أن الثواب قد يكون من جنس الحسنة، وأن العقوبة قد تكون من جنس الذنوب؛ لأنه جعل مكان أداء الإنسان أداء الله عنه، ومكان إتلافه إتلاف الله له، فبعد أخذ أموال الناس مع تبييت النية بعدم الوفاء نوع من صور إفساد المال، وهو علم من أعلام النبوة؛ لما نراه بالمشاهدة ممن يتعاطى شيئا من الأمرين.

ثالثا: المماطلة في الأداء

عد الشارع الحكيم المماطلة نوعا من أنواع الظلم؛ قال رسول الله - ﷺ -: «مطل الغني ظلم». وبمعناه حديث: «لي الواحد يحل عرضه وعقوبته». فالمطل: منع قضاء ما استحق أداؤه، وعليه، لا يجوز لمن وجب عليه تأدية دين أن يؤخره؛ وهو قادر على الأداء، وإلا عرض نفسه للعقوبة، قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: وإن طولب بدين، أو حق واجب على الفور، لزمه أداؤه، ولا يحل له أن يقول لخصمه لا أدفعه إلا بالحاكم؛ لأنه مطل، والمطل بالحقوق المقدور عليها محظور؛ لقوله -عليه السلام -: «مطل الغني ظلم»، وكثيرا ما يصدر هذا من العامة مع الجهل بتحريمه، وإثمه أعظم من إثم المطال المجرد؛ لما فيه من تعطيل المدعي بانطلاقه إلى الحاكم، ومثوله بين يديه، وبما يغرمه لأعوان الحاكم على الإحضار.



شمس آخر الليل..

بقلم: محمد عبدالرحمن العقيل

الصلاة خير من النوم... عندما أستيقظ من نومي على هذا النداء المقدس، أسمي بالله، وأنهض بهدوء من فراشي، ثم أفتح المصباح الصغير الذي بجانبي، وأذهب لأتوضأ للصلاة، ثم أخرج من بيتي في وقت السحر متوجها إلى المسجد لصلاة الفجر، مستأنسا بذكر الله، وأنا أمشي بروية داخل أستار الليل الساكن وهدوئه المتناغم، فأذكر الله ما شاء أن أذكره، وأدعوه بالثبات وصلاح الحال وأشكره، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء:٧٨). ففي هذه اللحظات تهدأ الأصوات، وتنقطع فيها الحركات، فتكون النفس أصفى، والذهن أجمع؛ فإن هدوء الصوت في السحر، وسكون البشر، أعون للنفس على التأمل والتدبر فيما ندعو ونذكر.. ولكن مع الأسف، لا يستمر هذا التواصل الجميل طويلا، وسرعان ما ينقطع لحظة دخولي إلى المسجد! نعم المسجد؛ وذلك بسبب إفراط بعض المصلين في فتح أضواء المسجد جميعها، وكأننا في حفل، فأدخل في حالة متناقضة تماما عما كنت عليها، وكأن الشمس أشرقت فجأة ودون مقدمات، فأخرج من ناشئة الليل إلى منتصف النهار!

جعل الله -تعالى- لكل شيء ميزانا مقدرا ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٤٠)، فلا الشمس تخرج فجأة، ولا يتعدى الليل على النهار، بل -سبحانه- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (الحديد:٦) وهذا هو خلق الله البديع الذي يخرج النور من الليل بتدرج لطيف، ويخرج الليل من النهار بلطف خفيف، يقول العلماء لو خرجت الشمس فجأة لعمي الناس جميعا! فكل حركة في هذا الكون مصممة لخدمة الإنسان وطبيعته، فكما أن هناك خلايا في جسم الإنسان بحاجة لطاقة الشمس، فكذلك توجد خلايا أخرى بحاجة إلى سكون الليل لتوازن الجسم.

الليل سكن وراحة

إن الليل نعمة من نعم الله علينا، لنسكن ونرتاح، ونريح أجسادنا من عناء العمل، وكذلك لنريح أعصابنا من تسلط أشعة الشمس عليها طوال النهار، فلابد للإنسان أن يعيش فترات يومه كما أرادها له خالقه وقدرها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (يونس:٦٧).. فلا ينبغي للإنسان ان يجعل ليله كنهاره، كلاهما مضيئان.. هذا بلا شك تعد وعبث في هوية الوقت، وإرهاق لأعصاب الجسم.

الإنارة بدون حساب

وقد تكون الوفرة المالية والتباهي بكثرة الإنارات، هو ما جعل الأمر لدينا مألوفا وطبيعيا في بلداننا العربية ولا سيما الخليجية؛ فلذلك غاب عنا مفهوم خصوصية الوقت، وزال احترامه وقدسيته من نفوسنا، وصرنا لا نقدر الساعة الزمنية في أجسادنا؛ فقد اعتاد عليها الكثيرون، حتى أصبحوا لا يميزون بين إنارة المكان على قدر الحاجة، وبين إنارته بالإضاءات العالية، وكأنهم لا يريدون الخروج من النهار!

اعتاد البعض على الإضاءة دون حساب، حتى أصبحوا لا يميزون بين إنارة المكان على قدر الحاجة، وبين إنارته بالإضاءات العالية

زهوة الإضاءات الصناعية وإشراقتها الجذابة، التي تشعر بعضنا بالبهجة والسعادة المكذوبة ستكون بحسب قدرة تحمل أعصابك

ومن عجيب ما قرأت عن أضرار عدم الاتزان اليومي مشكلات سكان القطب الشمالي والجنوبي، الذين يعانون من اضطرابات جسدية واضطرابات نفسية واضحة، تصل لدرجة التفكير بالانتحار لدى بعضهم؛ وذلك بسبب عدم انضباط النظام الوقتي، فليلهم ستة أشهر، ونهارهم ستة أشهر أخرى.

زهوة الإضاءات الصناعية

أكثر ما يزيد الموضوع تعقيدا برأيي هو زهوة الإضاءات الصناعية وإشراقتها الجذابة، التي تشعر بعضنا بالبهجة والسعادة للوهلة الأولى من دخوله لأي مكان عالي الإضاءة، ولكن انتبه؛ فهذا الشعور المغري سيكون على حساب قدرة تحمل أعصابك.

سكان القطب الشمالي والجنوبي، يعانون من اضطرابات جسدية واضطرابات نفسية واضحة، تصل لدرجة التفكير بالانتحار

نشرت دراسة في مجلة التقدم العلمي الكويتية، عن خطورة الإفراط في استخدام الإضاءات الصناعية العالية، وأطلق عليها العلماء مصطلح (التلوث الضوئي - light pollution) ومن أهم أضرار التعرض الطويل للضوء الصناعي على جسم الإنسان هو: تقليل إفراز هرمون (الميلاتونين)، وهو هرمون مهم لصحة الإنسان؛ فهو الهرمون الذي يعيق الخلايا السرطانية في الجسم، والإضاءة الصناعية العالية تؤثر على عدم ضبط الساعة البيولوجية في جسم الإنسان، مما يؤدي إلى خلل في ضبط أداء أعضاء الجسم عموما، وتنشأ عنها أمراض كثيرة مثل: الأرق والصداع والبدانة والضعف الجنسي وضعف البصر، وعضلة العين... وغيرها من اضطرابات في وظائف الجسم.

هوس الإضاءات العالية

أصبح عند بعض الناس هوس الإضاءات العالية، لدرجة أن هناك من يفتح الأنوار في ذروة النهار، مع ملاحظة أني لم أر بيتا في الدول المتحضرة يفتحون الإضاءات كما نفعل في دولنا العربية! قد يكون بدافع التوفير، ولكن في النهاية يعيشون هوية اليوم كما قدره الله، دون زيادات أو إسراف.

أبداننا بحاجة لتعيش فترات اليوم بطبيعته وبجماله ودون تعد يخل بهوية الوقت. فللشروق جمال، وللغروب جمال، وللنهار جمال، ولليل جمال، وكل خلق ربي جمال.

سيكولوجية السعادة في السّنّة النّبويّة

ألفاظ السعادة في أحاديث النبي ﷺ

د. سندس عادل العبيد
عضو هيئة التدريس بجامعة الكويت - كلية الشريعة

ما زال الحديث موصولاً عن ألفاظ السعادة في السنة النبوية، وقلنا: إن السعادة ذكرت بالاسم نفسه في أحاديث عدة في السّنّة النبوية، تحمل لفظ السعادة أو مشتقاته أو مرادفاته، منها ما هو ضعيف، وما هو مكرر بالمعنى؛ لذلك اقتصرت على الأحاديث المقبولة الجامعة في هذا الباب دون تكرار، واليوم نستكمل ما بدأناه.

الزيادة

الأصل في الزيادة الفضل، وهي نموّ وارتفاع وكثرة وعطاء وتحصيل، والزيادة تدخل بمفهوم السعادة بما يدركه السعيد من نفع ونمو وكثرة تحصل له، ومن الأحاديث التي ورد فيها هذا اللفظ: حديث أَبي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»، وفي هذا الحديث بيانٌ أن الصبر على المظلمة، والإنفاق على الناس يزيد العبد زيادة معنوية برفع شأنه، وزيادة مادية التي تتمثل في البركة بماله.

السكينة

السكينة: طمأنينة وهدوء واستقرار وراحة بال، ومن معاني السكينة المهابة والوقار، {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} (سورة الفتح: ٤)، والسكينة من المشاعر الإيجابية التي تحصل للعبد، وهي نوع من الانفعالات الإيجابية التي يحياها العبد، وتجعله ينظر إلى الحياة بنظرة مشرقة متفائلة، لسكون نفسه وتعلقها بخالقها، وعلمه أن أمره كله بيد الله، فيستقر الإيمان في قلبه، وتظهر السكينة والوقار على جوارحه.

السكينة والرحمة والغفران

وقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

كلما كثرت أعمال العبد الصالحة زادت سعادته وراحته وطيب نفسه

وفي هذا الحديث بيان أن السكينة والراحة والرحمة والغفران والقبول، يكون جزاء لمن اجتمع على ذكر الله -تعالى-، وهذا يؤكد للمسلم أن ذكر الله -تعالى- من أعظم أسباب السعادة في الداريين، ففي الدنيا تسكن روح العبد وتطمئن لذكره -سبحانه-، وفي الآخرة تفوز بالجنة بما نالته من الأجر والمثوبة

السكينة من المشاعر الإيجابية التي تحصل للعبد وتجعله ينظر إلى الحياة بنظرة مشرقة متفائلة

التفاؤل في السّنّة النبوية هو حسن الظن بالله ومن أهم مكونات السعادة

من ذكر الله في الدنيا.

السلام

المصدر سَلِمَ والسِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، والسَّلامة والغنامة: أي البراءة والعافية والرزق، ومعاني السلام كثيرة، وهو يحمل مشاعر إيجابية متنوعة، تحصل للفرد ولأسرته ومجتمعه بأكمله، وتظهر مشاعر السلام فيما يدركه السعيد من نفع له وتوفيق وعافية واستقرار وأمان، وكلها انفعالات إيجابية، وقد قال النبي - ﷺ-: «أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا»، وهنا يؤكد -ﷺ- على السلام بمعانيه، ولا يقتصر على السلام التحية، بل السلام بمعنى الأمان والسلامة من كل مكروه، ونفع الناس والتعاون معهم، وتحقيق مبدأ الإخاء، والمجتمع الإسلامي، حتى تتحقق السعادة للأفراد والمجتمع بوصفها نتيجة لذلك السلام.

الطمأنينة

الطمأنينة: سكون النفس، وعدم القلق، وقد ذكر علماء النفس أن من معاني السعادة الطمأنينة، وهي شعور إيجابي يحقق الصحة النفسية للفرد، وقال الرَّسُول الله -ﷺ-: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الشَّرَّ رِيبَةٌ»، وهنا يؤكد النبي -ﷺ- أن طريق الخير، والأعمال الصالحة مما تطمئن إليه النفس فيعرف الإنسان من راحة نفسه وسكونها أنه خير وصلاح، بخلاف الشر فانه يؤثر سلبًا على النفس ويجعلها في تذبذب وشك، وفي ضيق واضطراب، فيعرف الإنسان أنه طريق الشقاء.

الطيب، والطوبى

الطيب: الحسن والزكاة، طاب العيش حسن وزكا، والطوبى مؤنث أطيب، وهي غبطة وسعادة، وخيرٌ دائم، طُوبَى لك: لك الحظّ والعَيْش الطَّيِّب، وطُوبَى لكم: كونوا سُعداءَ جدًّا، والطُوبَى فُعْلَى من الطِّيب، وهي العيشُ الطيّب والخير والحسن، وطُوبَى اسمُ شجرةٍ في الجنَّة، الطيب من المشاعر الإيجابية التي تدخل في السعادة، وتؤثر على انفعال الفرد الإيجابي.

طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ

ومن الأحاديث التي وردت بهذا المعنى: قول الرسول -ﷺ-: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِهِ»، طوبَى لمن هدي للاستقامة في الدين، فإنه قد فاز بالحظ الذي يربح به في الدارين، وبالقناعة يفوز المرء بالأجر؛ لعلمه بأن الله -تعالى- عالم بالأصلح له خبير بأحواله؛ ولأنه يريح قلبه ويتفرغ لعبادة مولاه، فإن من زاد ماله زادت أشغاله وذهبت عنه عافيته.

والكفاف: ما كف به المرء عن الناس، وأغنى به نفسه، أي قدر كفايته لا يشغله ولا يطغيه، فقليل يكفيك خير من كثير يطغيك، والطوبى: الخير والعيش الهنيء، وهي إحدى مظاهر السعادة في السّنّة النبوية، ومن الطرائق للوصول إليها: الاستقامة في دين الله -تعالى-، والقناعة، والكفاف في الرزق.

وظائف الطاعة

قال القسطلاني: «فأصبح لما وفق له من وظائف الطاعة التي تسرع به إلى مقام الزلفى وترقيه إلى السعادة العظمى»، وصلاة الصبح أمرها عجيب، إذا ابتدأ العبد يومه بها أحس ببركتها، وبتسهيل أموره وبطيب نفسه وانشراح قلبه ونشاط بدنه، فالله -سبحانه- وعد ووعده الحق، قال -تعالى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، والعبد كلما كثرت أعماله الصالحة زادت سعادته وراحته، وطيب النفس من مظاهر السعادة التي يحظى بها المؤمن الحق، ومن المؤشرات المستفادة من الحديث: المحافظة على الصلاة، والوضوء والذكر.

الفأل

الفأل قوْل أو فِعْل يُستبشر به، وضدّه شُؤْم، وهو ما يتفاءل به، والفأل والتفاؤل من التفكير الإيجابي الذي يدعو إليه علم النفس، فهو شعور يُعلم الفرد العيش بنظرة إيجابية، وأكثر ما يطلق عليه في المنهج النبوي حسن الظن، وهو من أهم مكونات السعادة في علم النفس، ويعد التفكير الإيجابي في السّنّة النبوية من المؤشرات المهمة لتحقيق السعادة الحقيقة، وقال ابْن عَبَّاس -رضي الله عنهما- يصف النبي -ﷺ-: «كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَتَفَاءَلُ، وَيُعْجِبُهُ الاسْمُ الْحَسَنُ»، وقال الرسول -ﷺ-: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»، كان النبي -ﷺ- إذا سمع كلمة حسنة حملها على معنى يوافق، ولا يتشاءم، وكان يحب الاسم الحسن؛ لأن محبة الحسن من كل شيء من طباع ذوي الكمال، وقد كان يحول الاسم القبيح إلى الحسن، ليس من باب التشاؤم، ولكن لأن القبيح مكروه غير محبوب، وهذه الأمور من التفكير الإيجابي، وهو من أكبر أبواب السعادة، وأكثرها تأثيرا على انفعال الإنسان.



فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله

حكم الذبائح في الموالد

■ **ما حكم الذبائح التي تكون في المولد، والأذكار وضرب الطبول؟**

● هذه كلها بدعة، يجب تركها، كما نص عليها أهل العلم، ولم توجد في عهده -ﷺ-، ولم يأمر بها، ولم يفعلها لا هو ولا أصحابه ولا السلف الصالح، لم يعرفوا هذه البدعة وهي الاحتفال بالموالد، فلم يحتفلوا بمولد النبي -ﷺ- ولا بمولد الصديق ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم، وإنما هذه بدعة حصلت في القرن الرابع وما بعده، ثم تبعهم بعض الناس، فانتشرت هذه البدعة بسبب الجهل، وكثير من الناس يروجونها ويحثون عليها، وهؤلاء ممن يعين على الباطل، والواجب الانتباه لذلك والحذر منه، فلا يجوز حضورها ولا مشاركتهم في ولائمهم، ويجب تحذيرهم من ذلك وبيان أن هذا خطأ، وأنها بدعة، وأن الاحتفال بالموالد من أسباب الشرك، فكثير من هؤلاء ينتشر بينهم أنواع الشرك الأكبر، هذا يدعو النبي -ﷺ-، وهذا يدعو الحسين -رضي الله عنه-، وهذا يدعو البدوي.

فالحاصل: أنها بدعة ومن وسائل الشرك، ويكون فيها منكرات كثيرة في كثير من المجتمعات وفي كثير من البلدان، وقد قال الله -تعالى-: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} (الشورى: ٢١) وقال -سبحانه-: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} (الأعراف: ٣) وقال -تعالى-: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} (آل عمران: ٣١).

وقال -ﷺ-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق على صحته، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». أخرجه مسلم في صحيحه، وكان يقول -ﷺ- في خطبة الجمعة: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». أخرجه مسلم في صحيحه، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

أما بالنسبة للذبائح فمختلف، فإن كان ذبحها لصاحب المولد فهذا شرك أكبر، أما إن كان ذبحها للأكل فلا شيء في ذلك، لكن ينبغي ألا يؤكل منها، وألا يحضر المسلم إنكارًا عليهم بالقول والفعل؛ إلا أن يحضر لنصيحتهم دون أن يشاركهم في أكل أو غيره.

والله ولي التوفيق

إيماني يزيد وينقص فماذا أفعل؟

■ **استقمت بحمد الله على دين الله منذ شهر تقريبًا، وأشعر بالثبات إذا كنت مع بعض الإخوة الصالحين، وعندما أفارقهم بسبب انشغالي وأعمالي أجد نقصًا في الإيمان، بماذا تنصحوني؟**

● نوصيك بالاستقامة على صحبة الأخيار، وإذا فارقتهم لبعض أشغالك فاتق الله وتذكر أنه -سبحانه- رقيب عليك، وهو أعظم منهم، قال -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء: ١) وقال -سبحانه-: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} (الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩) وقال -تعالى-: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (التوبة: ٤٠).

فالله مراقبك فاتق الله، وتذكر أنك بين يديه، وأنه يراك على الطاعة والمعصية جميعًا؛ فاحذر عقاب الله، واحذر أن تعمل ما يغضبه -سبحانه-، وقال -جل وعلا-: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: ٢٨) وقال -سبحانه-: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة: ٤٠). فعليك بالصدق مع الله، والاستقامة على دين الله -سبحانه- في خلوتك ومع أصحابك، وفي كل مكان؛ فأنت في مسمع من الله ومرأى، يسمع كلامك، ويرى فعالك؛ فعليك أن تستحيي من الله -جل وعلا- أعظم من حيائك من أهلك ومن غير أهلك.

هل من أسماء الله مايجمع الاسم والصفة؟

■ **هل من أسماء الله ما يجمع اسمًا وصفة؟**

● كل أسماء الله على الذات والصفة، حتى كلمة الجلالة (الله) فإنها تدل على الذات وعلى الألوهية، فهو -سبحانه- الإله الذي يدعى ويعبد ويخضع له، ويستحق العبادة بجميع أنواعها، كما قال الله -سبحانه-: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} (الحج: ٦٢)، وهكذا بقية الأسماء فكلها أسماء وصفات.

حكم من مات على الشرك وهو لايعلم

■ **ما حكم من مات على الشرك وهو لا يعلم أنه من الشرك؟**

● من مات على الشرك فهو على خطر عظيم؛ لقول الله -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨) وقال -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (التوبة: ١٧) وقال -تعالى-: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣) وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

فهذا وعيدهم ومصيرهم كسائر الكفرة الكفر الأكبر، وحكمهم في الدنيا أنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين، أما إن كان أحد منهم لم تبلغه الدعوة- أعني القرآن والسنة- فهذا أمره إلى الله -سبحانه- يوم القيامة كسائر أهل الفترة، والأرجح عند أهل العلم في ذلك في حكمهم أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أجاب دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

وقد بسط الكلام في ذلك العلامة ابن القيم -رحمه الله- في آخر كتابه (في طريق الهجرتين)؛ حيث قال: «(المذهب الثامن) أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة؛ فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه أدخله النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها». أما إن كان أحد منهم عنده جهل فيما وقع فيه من الشرك فأمره إلى الله -جل وعلا-، والحكم على الظاهر، فمن كان ظاهره الشرك حكمه حكم المشركين، وأمره إلى الله -جل وعلا- الذي يعلم كل شيء -سبحانه وتعالى.

الرد على من يقول إن إثبات نزول اللّٰه السماء الدنيا في الثلث الأخير يدل على خلو العرش

■ **كيف نرد على من قال: إنكم تقولون: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فإن ذلك يقتضي تركه العرش؛ لأن ثلث الليل الأخير ليس في وقت واحد على أهل الأرض؟**

● هذا كلام رسول الله -ﷺ- فهو القائل -عليه الصلاة والسلام-: ينزل ربنا -تبارك وتعالى- إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الفجر. متفق على صحته، وقد بين العلماء أنه نزول يليق بالله وليس مثل نزولنا، لا يعلم كيفيته إلا هو -سبحانه وتعالى-، فهو ينزل كما يشاء، ولا يلزم من ذلك خلو العرش فهو نزول يليق به -عز وجل-، والثلث يختلف في أنحاء الدنيا، وهذا شيء يختص به -تعالى-، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال -سبحانه-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) وقال -جل وعلا-: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠)، وقال -تعالى- في آية الكرسي: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهو -سبحانه- أعلم بكيفية نزوله، فعلينا أن نثبت النزول على الوجه الذي يليق بالله، ومع كونه استوى على العرش، فهو ينزل كما يليق به -تعالى- ليس كنزولنا إذا نزل فلان من السطح خلا منه السطح، وإذا نزل من السيارة خلت منه السيارة؛ فهذا قياس فاسد له؛ لأنه -سبحانه- لا يقاس بخلقه، ولا يشبه خلقه في شيء من صفاته.

كما أننا نقول: استوى على العرش على الوجه الذي يليق به -سبحانه-، ولا نعلم كيفية استوائه، فلا نشبهه بالخلق، ولا نمثله، وإنما نقول: استوى استواء يليق بجلاله وعظمته، ولما خاض المتكلمون في هذا المقام بغير حق حصل لهم بذلك حيرة عظيمة حتى آل بهم الكلام إلى إنكار الله بالكلية، حتى قالوا: لا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا كذا ولا كذا، حتى وصفوه بصفات معناها العدم وإنكار وجوده -سبحانه- بالكلية، ولهذا ذهب أصحاب رسول الله -ﷺ- وأهل السنة والجماعة تبعًا لهم فأقروا بما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة، وقالوا: لا يعلم كيفية صفاته إلا هو -سبحانه-، ومن هذا ما قاله مالك -رحمه الله-: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، يعني عن الكيفية، ومثل ذلك ما يروى عن أم سلمة -رضي الله عنها- عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ مالك -رحمهما الله-: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان بذلك واجب».

ومن التزم بهذا الأمر سلم من شبهات كثيرة، ومن اعتقادات لأهل الباطل كثيرة عديدة، وحسبنا أن نثبت ما جاء في النصوص، وألا نزيد على ذلك، وهكذا نقول يسمع ويتكلم ويبصر، ويغضب ويرضى على وجه يليق به -سبحانه-، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو، وهذا هو طريق السلامة وطريق النجاة، وطريق العلم، وهو مذهب السلف الصالح، وهو المذهب الأسلم والأعلم والأحكم، وبذلك يسلم المؤمن من شبهات المشبهين، وضلالات المضللين، ويعتصم بالسنة والكتاب المبين، ويرد علم الكيفية إلى ربه -عز وجل-، والله -سبحانه- ولي التوفيق.



خير وأبقى..

سالم الناشي

رئيس تحرير مجلة الفرقان

٢٠٢٠/٩/٧م

وردت كلمتا ﴿خير وأبقى﴾ في القرآن في خمسة مواضع، فما تلك المواضع؟ وما الأمور التي ذكرها الله -سبحانه- على أنها ﴿خير وأبقى﴾؟ وما التفسير الوارد في معنى ﴿خير وأبقى﴾؟

وردت كلمتا ﴿خير وأبقى﴾ في المواضع الآتية من القرآن الكريم: الأول والثاني: في سورة: (طه: ٧٣) و(١٣١)، والثالث: في (القصص: ٦٠)، والرابع:في (الشورى: ٣٦)، والخامس:في (الأعلى: ١٧).

والأمور التي ذكرها الله -سبحانه- على أنها ﴿خير وأبقى﴾ هي:

١- الله: في قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه:٧٣).

٢- رزق ربك: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه:١٣١).

٣- ما عند الله: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص:٦٠).

٤- ما عند الله: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الشورى:٣٦).

٥- الآخرة: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى:١٧).

فالأمور التي قصدها الله -سبحانه وتعالى- من قوله -عز وجل-: ﴿خير وأبقى﴾ هي: الله -تعالى-، ورزقه، وما عنده، والآخرة.

❖❖❖

• ففي سورة طه، الآية: (٧٣): قال -تعالى-: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال السعدي في تفسيره: «﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ مما وعدتنا من الأجر والمنزلة والجاه، وأبقى ثوابا وإحسانا، لا ما يقول فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ يريد أنه أشد عذابا وأبقى.

❖❖❖

• وفي سورة طه، الآية: (١٣١): قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال السعدي في تفسيره: «﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم (خير) مما متعنا به أزواجا، في ذاته وصفاته، ﴿وَأَبْقَى﴾ لكونه لا ينقطع، أكلها دائم وظلها، كما قال -تعالى-: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا، وإقبالا عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا».

❖❖❖

• وفي سورة القصص، (الآية: ٦٠): قال -تعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال الطبري في تفسيره: «ما عند الله لأهل طاعته وولايته، خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها (وأبقى)، يقول: وأبقى لأهله؛ لأنه دائم لا نفاد له». أو «خيرٌ ثوابا، وأبقى عندنا»، وقال القرطبي في تفسيره: «أفضل وأدوم، يريد الدار الآخرة وهي الجنة».

❖❖❖

• وفي سورة الشورى، الآية (٣٦): قال -تعالى-: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى:٣٦). قال الطبري في تفسيره: «وَالَّذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة، خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى، لأن ما أوتيتم في الدنيا فإنه نافد، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باق غير نافد». قال البغوي في تفسيره: «فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا، متاع قليل لهما يتمتعان بها، فإذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خير للمؤمن».

❖❖❖

• وفي سورة الأعلى، الآية (١٧): قال -تعالى-: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال ابن كثير في تفسيره: «ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى؛ فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟! وقال النبي - ﷺ -: «والله ما الدُّنيا في الآخرَةِ إلَّا مثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه، وأَشارَ يَحْيَى بالسَّبَّابَةِ، في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ؟». فاللهم وفقنا لما هو خير وأبقى.



المعالي

الفخر بمعاوية بن صخر

الشيخ
د. خالد السلطان

السبت الثلاثاء 20:15 | الأحد الأربعاء 02:15

نواقض الإسلام

تقديم يعقوب اللوغاني
الشيخ حمد الأمير

الجمعة 21:00 | السبت 03:00

يوم في فلسطين

تقديم
محمد حرارة

الأثنين الخميس 17:30 | الثلاثاء الجمعة 01:30

الحصن

الشيخ
د. أحمد رخيص العقيلي

الأثنين الخميس 20:15 | الثلاثاء الجمعة 02:15

لا تثبت

الشيخ
عبدالله آدم الألباني

الأربعاء 22:30 | الخميس 11:00

القيادة اليوسفية

د. فالح العمرة العجمي

الأربعاء 16:45 | الخميس 00:45

تردد القناة على النايل سات 10757





www.m3ali.tv


صدقاتكم...
أجر وعافية
40 عاماً من العطاء
جمعية صندوق إعانة المرضى
Patients Helping Fund Society
تجوز الزكاة
رقم الترخيص (ج8/6-2019م)
يُمنع الجمع النقدي
phfskuwait phfkw @phfkw phf www.phf.org.kw 18 99 000